

روایات عبیر



آن ہامپسٹون

جُبُّ نِي الظِّلَامِ



حُب في الظلام

البصير نعمة لا تعوض ، كل شيء آخر يمكن اصلاحه
سوى فقدان الرؤية ... ان يعرف العالم من حولك في الظلام
الدامس ، خاصة بعدما عرفت هذا العالم وعشت فيه ...
كيف ان تفقد بصرك من أجل شخص تحبه فاذا به يهجر
غير ابيه لمصيبتك؟

هذا ما حصل لليوناني بافلوس ديمثريوس الذي وقع في
حب الانكليزية لوسيندا ...

وكانت تيسا شقيقة لوسيندا تحبه في السر وهو لا يعلمها ،
فعندما علمت ، بقرب موعد خطبته لأختها غادرت بلدها لتلا
يؤلها ما سترى ... وعندما عادت وجدت لوسيندا مخطوبة الى
رجل آخر ، فماذا حصل ؟ وهل تذهب تيسا للبحث عن حب
ضائع مع رجل لا يرى ؟

لهستان ٦٤٤	الكويت ٧٠٠	الف ٧٠٠	التيمن ٨	ر ٨	السودان ٧٠٠
شورية ٨٠٨	الامارات ٩	د ٩	تونس ١	د ١	فرنسا ١٠
الأردن ٥٠٠	البحرين ٩٠	ف ٩٠	لينبيا ٧٠٠	د ٧٠٠	بريطانيا ١
العراق ٥٠٠	قطر ٩	ر ٩	الغرب ٨	د ٨	اليونان ١٢٠
السعودية ٨	عمان ٩٠٠	ب ٩٠٠	مصر ٧٠٠	م ٧٠٠	قبرص ١

العنوان الاصيل لهذه الرواية بالانكليزية
AN EAGLE SWOOPED

(- صفة من ورد

عادت تيسا من رحلتها الأخيرة الى اليونان ولكن ترى حتى متى؟ ودارت بسيارتها الى داخل الممر، قاطعة اليارات القليلة فخرجت الأسرة بأكملها - تقريبا - لترحب بها . وعانقت أمها، وأخويها الصغيرين، وكان آخر من احتضنها أبوها، بقامته الطويلة، وشعره الشائب، وسمة الأسي الدائم التي تعلو وجهه الشاحب . وسألها في أمل:

هل تعودين الى الوطن نهائيا؟

ربما ما أروع أن أراكما يا أبي ويا أمي، وانتما أيها الحبيبان، كم كبرتما!

ودخلوا البيت، فذهبت الأم السيدة بلين الى المطبخ لتعد الشاي، وانصرف الغلامان لأتمام واجبهما المدرسي . وجلست تيسا وأبوها برهة يتحدثان عن عملها، وأصدقائها في الخارج، والأماكن التي شاهدتها . ثم تساءلت في تردد:

لوسيندا، أمي... هل يقيمون على مقربة؟

وقبل أن يجيبها أبوها، أقبلت أمها بالشاي . وقالت:
تحدثني مع أبيك، ريثما أعد فراشك، لأننا توقعنا أن تصلي غدا.

تطلعت الى أمها مبتسمة، وقالت لنفسها . انها

© HARLEQUIN ENTREPRISES B.V. 1970
© 1982 Harlequin (Cyprus) Ltd.

حقوق التأليف محفوظة لهارلكوين انتربرايزي . في
جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس والترجمة محفوظة
لهارلكوين (قبرص) المحدودة .

المراسلات :

Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece.

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

كالعهد بها، شاب شعرها في بعض الأماكن ولكنه جذاب
التنسيق، وعيناها عسلتان رقيقتان، ولصوتها سمته الخاصة
وتذكرت تيسا أن الطبيب قال مرة وهو يضحك: أصيبت الحبال
الصوتية بعيب، ولكنه من أفنن العيوب!

كان صوتها صافيا، خافتا، عذبا، كالموسيقى في ليلة
ساكنة الهواء. وأورثت السيدة بلين ابنتها هذا الصوت
الجميل. وأورثت تيسا وحدها شكلها. أما ابنتها الأخرى
لوسيندا فتشبه جدتها، التي كانت في شبابها رائعة الحبال،
ذات شعر ذهبي شاحب، وعينين كالزهور العنبرية الحديثة
التفتح.

وعادت السيدة بلين تقول:

*سأسوي فراشك. وستنزلين في غرفتك نفسها مع
لوسيندا.*

وشحب وجه تيسا، وغشيتها رجفة مفاجئة، وقالت:

لوسيندا؟ ألم يتزوجا بعد؟

وتبادل والداها نظرة، ثم قالت أمها متعجلة:

سأترككما لتتناولا الشاي.

وما هي الا لحظة حتى كان الباب قد أغلق وراءها بهدوء.

*ماذا هناك يا أبي؟ أما زالت لوسيندا مخطوبة الي. الي
بول؟*

*انها مخطوبة، ولكن، ليس الي بول. ألا تسكبين الشاي
ياتيسا؟*

أخبرني بما حدث، أين بول؟

وتنهذ الأب قائلا:

*غبت عامين يا فتاتي، وطلبت - بل حرمت علينا أن نوافيك
بأية أنباء عن لوسيندا وبول.*

*انت تعرف السبب. ما كنت أحتفل لوسيندا تزوجت. . .
لوسيندا حامل. . . وبول أصبح مزهوا. . . الخ.*

وهزت رأسها تأكيدا، وأضافت:

كلا. . . ما أردت أن تكتبا الي عن هذه الأمور.

*وقد فعلنا ما طلبت يا ابنتي. كانا في جولة بالسيارة، ووقع
حادث بغيب.*

واتسعت حدقتها، وتساءلت:

حادث؟ هل مات. . . هل مات؟

وزفرت في أسى، وهو يتفحصها بعينه، وقال:

*لم يموت. أما زلت تحيينه؟ لا بد أنك تغلبت على هذا يا
ابنتي.*

فاستحثته قائلة:

*حدثني عن الحادث. اذا لم يكن مات فلماذا لم يتزوجا؟
وكيف أصبحت خطيبة لسواه؟*

أنه أعمى يا تيسا.

وحملقت، عاجزة عن الاستيعاب. . . بول، الشديد الحيوية

والاعتداد، المتسامي الواثق! وهزت رأسها قائلة:

كلا لا يمكن أن يكون هذا.

وارتجف صوت السيد بلين وهو يقول:

عمى لا علاج له، بسبب الحادث. . . انصرفت لوسيندا عنه.

ونهدت تيسا ثم جلست:

هذا غير حقيقي. ثم قالت: كانا مدلهين بحب جنوني. . .

فهز أبوها رأسه وقال:

*من جانب واحد، كما تبين. غضبنا جميعا من لوسيندا

واستنكرنا تصرفها اذ ذلك، ولكننا بعد فترة استسلمنا. ولعله

كان أكثر مما ينبغي أن نتوقع أن ترتبط بقية عمرها بأعمى. . .*

أنها فتاة جميلة جدا.*

أجل، وكانت تيسا عادية المظهر. لهذا لم يعد بول يرى

سوى لوسيندا بعد أن التقى بها. وعادت تسأل اباه،
فأجابها:

* كان هذا منذ عام انقلبت السيارة وكان بول يقودها بسرعة كبيرة *

* ما اعتاد بول الاسراع، كان شديد الحرص في القيادة *

* الواضح أنه كان مسرعا في هذه المرة، ومسرعا جدا *

وتوقف، وتغصنت جبهته، واستأنف:

* رفضت لوسيندا أن تقول أكثر من هذا، ولكنها أصرت على أنه كان مسرعا جدا *

وفكرت تيسا... ما كانت لوسيندا لتكذب ومع ذلك... واستعادت تيسا ذكرى لقائها ببول، الليلة التي غيرت حياتها بأسرها، وجلبت في أعقابها تعاسة لاسبيل لوصفها. فقد عرض بول أن يقلها الى منزلها. ولاحظت حرصه في الطريق، والسرعة المأمونة التي التزمها في القيادة. وعادت تسأل اباه:

* أتقول أن السيارة انقلبت؟ الواضح أن لوسيندا لم تصب بضرر *

* فأجاب بأنها ارتطمت خارج السيارة التي اشتعلت فيها النيران، وأصيب بول بحروق، كان غريبا أنها اقتصرت على يديه، ولم تحس وجهه. ومع ذلك فقد بصره *

* قالوا انها الصدمة العصبية، ويبدو أن الصدمة الشديدة قد تسبب العمى *

وشعرت تيسا بأن في الأمر شيئا، ولكن اسئلتها لأبيها لم تأتيها بجديد، كانت لوسيندا تلوذ بالصمت ازاء الحادث منذ وقوعه، ولكن، ألا سبيل لشفاء هذا العمى؟ ان العمى الناتج عن صدمة عصبية كثيرا ما يشفى!

* بول غني كما تعلمين، عادة كل طبيب مشهور وقضى في المستشفى وقتا، ولكن بدون جدوى. اجمع الأطباء على أنه لا سبيل للشفاء!

قالت تيسا وكأنها تحدث نفسها:

* وهكذا تخلت عنه لوسيندا؟ *

واكفهر وجه أبيها، ولكنه لم يتكلم، فمضت تسأله أين بول

حاليا؟ قال وهو يضع قذح الشاي أمامها:

* رحل الى الخارج، ليقيم في جزيرة يونانية، فيما أظن *

وما كان أبوها يعلم أية جزيرة بالتحديد، ولكنه رمقها بقلق، وقال:

* إنسيه يا ابنتي. ابحتي لنفسك عن شاب لطيف. أثبتت

الأمور أن بول ليس مقدرا لأي منكما *

فحملقت في قدحها، وندت منها زفرة *

* أتقول أن لوسيندا خطبت مرة أخرى؟ *

* لشاب لطيف جدا، يكبرها بعام، في السابعة والعشرين. وهو

متيم بها، وسيتزوجان في شهر حزيران /يونيه *

كان كل امرئ يهيم بلوسيندا، بجمالها الشاحب،

وبمقدرتها على الظهور بمظهر الوداعة وغير المتصنعة *

* هذه الجزيرة اليونانية، أليست لديك فكرة عنها؟ *

* كلا. وقد لا تكون يونانية، ولكنها جزيرة قطعا *

وعبست. لماذا الالاحاح لمعرفة مكان بول. وما الذي فعله

بها في سويغات قلائل؟ كانت خالية البال حتى تلك الامسية

التي دخل فيها حياتها. وعاد أبوها يقول:

* إنسيه يا حبيبتي. ستتزوجين *

فقاطعته بصوت متهدج:

* لن أتزوج أبدا يا أبي *

وقبل أن يتكلم أقيلت لوسيندا، قائلة:

* تلك السيارة... لمن؟ تيسا! ما أطيب أن أراك! لكم

أصبحت سمرا! هذا يجعلك جذابة جدا *

اسئلة كثيرة وابتسامات مسرفة ومع ذلك فما كبدت

لوسيندا نفسها عناء كتابة رسالة واحدة لها خلال عامين!

وفجأة، أمسكت لوسيندا عن الكلام، وتبادلت وأبوها

* إذا كان احترق فهذا خطأه، رحماك، لا ترمقيني هكذا، احسبك كنت تتزوجينه لو أنك كنت مكاني .. كنت تقدمين على التضحية بشجاعة، ولكني لست حقا بهذه الدرجة .. لم لا تذهبين وتمنحينه عطفك؟ قد يعني بك الآن، بل قد يتزوجك، فلن تقبله سواك !

وأجفلت تيسا لكلمات أختها، ولكنها سألتها:

* في النهاية .. عندها صارحته، ماذا قال؟ *

* تصرف كما توقعته منه .. أعني تظاهر بأنه لا يصدق كأنه لم يستوعب ولكن هذا كان تمثيلا .. *

* ما أظن أن بول يستطيع الاصطناع في ظرف كهذا .. *

* أنك لا تستطيعين أن تري عينا فيه .. لعل هذا سيقنعك بمدى غروره، قال انني لو غيرت رأبي واستغفرتة، فسيقبل عودتي اليه .. ما رأيك في هذا الغرور؟ *

* لا بد أنه يحبك كثيرا، حتى يستطيع أن يغفر لك ما فعلت به! *

وكانت تيسا تحدج اختها بنظرة متفحصة وهي تستكمل زينتها .. فهزت لوسيندا كتفيها، وغصت تيسا بريقها، وهي تفكر كيف ترمي أختها بكل هذا الحب بلا مبالاة! وسألتها:

* وجيرالد .. ما شكله؟ *

فأومضت عينا لوسيندا وقالت:

* رائع! .. كل منا مجنون بحب الآخر! *

وألقت تيسا نظرة على الساعة وهي تشعر بغثيان، وذهبت الى الحمام، مبتعدة عن لوسيندا .. وفيما هي غائصة في الماء، راحت تستعيد ذكرى اليوم الذي رأت فيه ضرورة الرحيل الى مكان ما، لئلا ترى بول ولوسيندا معا ..

وجاءتها الدعوة - في أنسب وقت - للتدريس في ألمانيا .. ومنها ذهبت الى تركيا، ثم لبنان، ثم اليونان - وكان

هذا المنصب الأخير لثلاثة أشهر فقط - ثم تآقت للعودة الى انكلترا - وان كانت موقنة بأن رؤية بول ولوسيندا كفيلا بنفس عزمها على الاستقرار في وطنها .. وما كان الرجوع الى اليونان فكرة طيبة، لأنها كانت وطنه، وان كان قد عاش في انكلترا عددا من السنين ..

ووافقها جو في الساعة السابعة .. وهتف في غير تملق:

* أنك لم تتغيري .. كنت مستعدة للكتابة اليك، ولكنك لم ترسلي لي عنوانك مطلقا .. *

ولم تتكلم والسيارة منطلقة بهما الى حيث كانا يعتزمان تناول العشاء .. لم تتكلم الا حين شرعا في العشاء، فبدأت تثير أهم موضوع كان يشغلها:

* أنت كنت صديق بول اتعرف ما حدث يا جو؟ *

* اذن، فهذا ما سعيت لمقابلتي من أجله؟ كدت افخر بأن صحبتي اجتذبتك .. أما زلت تحبينه؟ *

قالت متلعثمة:

* وهل يعرف الناس جميعا هذه الحقيقة؟ *

فأجاب:

* عندما تهيم الأخت الصغرى بفتى اختها الكبرى، فلا بد أن ينتشر النبا! *

قالت لنفسها * الصغرى؟ *

انها أصغر من لوسيندا بعامين فقط، وأن كانت تبدو أصغر بكثير من أعوامها الأربعة والعشرين .. وزم جو شفثيه فجأة وقال:

* حقا! ولكن بول أكثر حماقة انا كنت صديقه، ولكنه قاطع كل شخص هنا .. *

* اتعرف أين يقيم؟ يقول أبي انه في جزيرة يونانية .. *

* كلا، بل في قبرص، له هناك بيت في الجبال .. يعيش كناسك، ويعتبر تحريب الأطوار .. *

نظرة، ولكن ذكر بول لم يرد حتى انفردت الشقيقتان في
غرفة نومهما: لوسيندا تستعد للقاء جيرالد، وتيسا لزيارة أحد
أصدقاء بول.

قالت لوسيندا وهي تسوي شعرها:

"احسبهما أخبراك؟ لقد كتما الأمر لأنك أخبرتهما بأنك لا
تريدان سماع شيء عن بول وعني".

فقالت تيسا بصراحة:

"كان هذا خليقا بأن يوءلمني، ولا يبدو أن أبي يعرف تحاما ما
حصل".

"ما كان بوسعي أن أروي الكثير، كنت فاقدة الوعي، هل
أخبرك أبي... بول صار أعمى!"

وأجفلت تيسا للهجة اختها غير المكترثة ازاء فاجعة بول،
وهمست بصوت أجش:

"كيف استطعت أن تهجريه؟"

فهتفت:

"لا تعظيني، كفاني ما لقيت من أمي وأبي، كنتم جميعا
تفضلون أن أتزوج، ولكني الوحيدة التي كانت تتعذب".

تصوري قضاء عمرك مع رجل لا يملك أن يبصرك!
وسوت خصلة شعر شاردة، وتفحصت صورتها في المرآة

وأردفت:

"ما جدوى أن أبدو هكذا وهو لا يراني؟"

أجل جميلة جدا. لا عجب أن بول لم يلتفت بنظرة الى تيسا،
منذ أن قدمته الى اختها. وواجهت تيسا صورتها في المرآة

وهي غير راضية عن شكلها، كانت عظام وجنتيها مرتفعة،
ولكن الطبيعة لم تصقل انحناءاتها بأبداع، وكان فمها بشكل

وحجم فم لوسيندا، ولكنه يفتقر لشيء لاسبيل لتحديده، وهو
الفارق بينهما في المظهر. ولكن عينيها كانتا واسعتين،

وصادقتين، في أعماقهما العسلية ومضة حنان لم تبد أبدا

في عيني اختها. كما كانت تيسا تنفرد بشعرها الجميل في
لون الشهيد، تتخلله ظلال من النحاس والذهب، ينسدل على
كتفيها نصف متموج، واقنعت نفسها بأنها لم تكن قبيحة
تماما، ولكنها بالمقارنة الى لوسيندا...؟

قالت وكأنها تخاطب نفسها:

"ما فهمت الى الآن كيف استطعت التخلي عنه. أنه وان أصبح
اعمى لا يزال الرجل نفسه".

واستدارت لوسيندا غاضبة، وصاحت والدماء تتصاعد الى
وجهها:

"ما كنت انوي الارتباط طيلة عمري بأعمى... ثم، هناك
يداه..."

وامسكت مرتجفة، ثم أردفت:

"لا بد أنهما أصبحتا بشعتين... لم أرهما، اذ كانتا في
الضمادات، ولكني لا أطيق التفكير فيهما. وما كنت لأحتمل أن
تلمساني!"

وقفزت الدموع الى مقلتي تيسا، فأمسكتها قبل أن تلمحها
اختها. وقالت:

"انهما يداه بعد كل شيء...!"

فارتجفت لوسيندا ثانية، وتيسا ماضية في حديثها:

"كيف احترقت يداه دون أي من اعضاء جسمه؟"

فعاد الوميض البشع لعيني لوسيندا، وقالت:

"قلت أنني لا أعرف شيئا!"

"أما أخبرك بول بشيء؟ أحسبك رأيته في المستشفى؟"

"أجل، زرتة، ولكنه لم يخبرني بشيء..."

فغمغمت تيسا:

"لكم يبدو هذا عجيبا، فأطلقت لوسيندا فجأة ضحكة أجشة،
وصاحت:

"عجيبا؟ لماذا؟"

على الجانب الآخر، قرب الأعشاب، لكنه كان يعتقد أن
لوسيندا في السيارة فارتدى على المركبة المتأججة وهو
يناديها، وحاول أحد شهود الحادث إبعاده، لكنه كان يظن أن
حبيبته تحترق. ومرت سيارة فأنضم سائقها للشاهد وأبعده
بول وكانت يدها تلتظيان احترقا، ومع ذلك ظل مصرا على
المحاولة. لم تصب لوسيندا بسوء لقد فعل كل هذا سدى.

كان وجه تيسا أبيض كغطاء المائدة ونظرت الى رفيقها
والدموع تترقرق في عينيها وتساءلت:

* وبصره؟ كيف فقدته؟ قال أبي أنها صدمة عصبية.
فأجاب:

* أجل، صدمة الظن بأن لوسيندا ماتت محترقة.
فهمست في رعب واشمئزاز:

* ولوسيندا تركته!
فأردف:

* وهي الآن في خير حال وخطيبة هانئة، بينما بول...
وهز كتفيه وقال:

* لم نعرف عنوانه. فكرت في الذهاب الى قبرص بحثا عنه،
لكنني أظنه سيكره هذا.

* ويدها باجو. فهمت أنها في حال سيئة؟

* عندما رأيتة آخر مرة كانتا في الضمادات، ولكنك تعرفين
براعة الجراحة اليوم. وأحسبه حظي بعلاج جيد، وانك
لتعلمين ما يمكن للنقود فعله لتوفير أكبر قدر من الرعاية له.

قالت وهي تتذكر ما قالتها اختها عن استعدادها ليغفر لها:

* أتظن بول باقيا على حبه للوسيندا؟

* لا أود أن اعطي رأيا. فلنتذكر أن بول يوناني، وأن
الشرقيين يحبون بعدق، أو لا يحبون، لا وسط عندهم!

وارتجفت تيسا بالرغم منها، أیظل بول على حب لوسيندا؟
وتجهم جو، وهو ينصحتها بكلمات أبيها:

وتجعد جبينها... قبرص؟ زارتها ولم تمكث أكثر من
ليلتين، ولكنها جميلة، وان كان بول لن يبصر جمالها. لن
يبصر الجبال، ولا البحر ولا الشواطئ، ولا المدن القديمة
المهجورة، ولا الكنائس، ولا الحصون، ولا بساتين البرتقال
والسفوح. لا يستطيع أن يشاهد غروب الشمس الرائع، ولا
الشروق الذي لا يقل روعة، قد يسمع وشوشة الأمواج على
الشاطئ وحفيف النباتات الجافة والسحالي تزحف تحتها.
وخرجت من شرودها لتسأله:

* ولكن، لنعد الى الحادث، ما الذي جرى بالضبط يا جو؟
قال بصوت حاد وساخر:

* ألم تدبرك اختك؟

* كانت فاقدة الوعي، ولا تتذكر أي شيء.

* انها مع ذلك تعرف كل شيء، لأنني أخبرتها!

وحدقت فيه مشدوهة، وهو يذكر أن بول ظل يومين في
المستشفى، قبل أن يؤذن لجو برؤيته، ولبضع دقائق فحسب.
وراح يدمدم حتى أقبلت الممرضة فدعت جو للانصراف. وقال
جو:

* أتريدن معرفة ما سمعت حقا؟ أنه لا يحسن الظن باختك!
وازاء الحاحها، قال:

* كانت بينهما مشادة، بصدد شاب تلاعبت معه وبول متغيب
في عمل ما. وكان يلومها وهما منطلقان في السيارة. فلم تبد
ندما، وأمرت بول بأيقاف السيارة فرفض اراء لهجتها الآمرة.

وفي حدة طبعها، أخذت تلوي عجلة القيادة.

وتبدى الذعر في عيني تيسا وارتجفت يدها. وعاود جو
حديثه:

* ارتطمت السيارة بسياج حجري وانقلبت واشتعلت فيها النار
وأطاحت الصدمة بلوسيندا فوق السياج ولم تصب بغير بضعة

جراح وكدمات، فقدت الرشد برهة ونجا بول بمهارة وانطرح

* انسيه! لكم أتحنى لو أنني لم أعرفك به! *

وتذكرت الحفلة التي عرفها به خلالها . قال اذ ذاك تيسا . .
أعرفك ببافلوس ديمتريوس . أنه يوناني وعني لدرجة
مقززة . . الملاحة والسفن! ثم تركهما . مذ ذاك تغيرت حياتها
بعدها وقعت عينها عليه . وراح يطل عليها من علياء قامته ،
وشفتاه تنمان عن عجبه من التعبير الذي تجلى على وجهها .
كان أسمر وشعره فاحما ، ارتفع عن جبين ضيق وعيناه
عسليتان ، لم تنما عن أي ابتهاج باللقاء ، أما هي فبرغم
سنوات عمرها الاثنتين والعشرين شعرت بازدهاء كئاميدة
حظيت بابتسامة أحد الأرباب الاغريق ، وتحدثا ، ورقصا
وشربا ، وودعها قائلا :

* قد نلتقي مرة أخرى . *

ثم انطلق بسيارته .

وكان لقاؤهما الثاني في حفلة موسيقية . فابتسم لها ، وقفز
قلبا جزلا . وعند الانصراف أقلها بسيارته ، وكانت لوسيندا
عائدة الى البيت حين بلغاه ، فتطلعت الى بول بعينين
واسعتين ، وشفتين جميلتين ، انفرجتا عن ابتسامة داعية ،
وهكذا انتهت آمال تيسا فبرغم أنه أكثر من التردد على
بيتهما ، ما كانت تقوى على مقاومة تضرج وجهها وارتعاشها
كلما رآته . ولم يكن بول يلاحظ هذا في البداية ، فلما فطن
اليه ، أبدى عجا ولوى شفتيه ، ولكن الطعنة الكبرى حين
سمعتة عفوا يتحدث مع جو في إحدى الحفلات قائلا :

* أخت لوسيندا المملة ، ماذا بها ؟ أتلقى بنفسها على كل رجل
تقابله ؟ انها تثير اعصابي اذ تلاحقني بعينيها ، وهما كل ما
لديها . *

وقال جو :

* انها لم تحظ بجمال لوسيندا ، لكنها باهرة اذا ما عرفت حق
المعرفة وهز بول كتفيه ، ثم لصح لوسيندا ، فهم

بالذهاب اليها . *

ولكن جو استوقفه قائلا :

* هل ستزوج من لوسيندا ؟ *

وكان جوابه : اذا قبلتني . *

* ولكن تصور ان تكون لك أخت زوجة تسلط عليك عينيها . لا بد

ان اللعينة بلا كرامة . *

وفي الاسبوع التالي ، أعلنت خطبة بول ولوسيندا ، فأدرجت

تيسا ان لا بد لها من الرحيل ا

* * *

أخرجها جو من استغراقها متسائلا :

* أفريقي . . أين أنت ؟ *

فاغتصبت ضحكة وقالت :

* بعيدا جدا . *

* في إحدى جزر البحر الابيض المتوسط مثلا ؟ اطرحي عنك

هذا ، وأقدمي على بداية جديدة تماما ! *

* بداية جديدة ؟ أما كانت هذه نيتها حين رحلت ؟ ولكنها لم

تنجح ؟ *

ومضى جو في حديثه :

* لقد اختفى ، غادر المستشفى في أصيل ذات يوم فلما اتصلت

بمسكنه في المساء ، كان المسكن مغلقا ، واعتقد انه أمر

مستخدميه ببيع كل شيء أثناء وجوده في المستشفى ، بالظلم

الحياة ! ان تجتذبه لوسيندا دونك . *

هكذا كانت لوسيندا ، تظهر بأحسن شيء ، حتى أيام

الدراسة ، كانت ترتكب الأخطاء وتغلت ببراعة ، ليقع اللوم

وأتصور انك تأملين في أن تجديه تغير، وأنه يريدك، ولكنني
أدعو الله ألا تتعرضي لمزيد من الجراح!

على غيرها، وما كان ذلك الغير سوى أختها
كان أبوها لا يزال مستيقظا، حين عادت تيسا فجلسا بجوار
المدفأة المحتضرة، يتحادثان، سألها في تلهف، وهو يرمقها
مشجعا، إذ أحس بحيرتها:
"أحسبك ستبقيين؟ هنا بعض الأعمال الشاغرة، أنا وأمك
نريدك معنا ياتيسا."

فتطلعت اليه مكفهرة المحيا وقالت:
"لا أستطيع البقاء يا أبي ظننتني قادرة ولكن..."
وتحاشت نظراته، وأردفت:
"إن بول يعيش في قبرص... والى هناك سأذهب..."
واستلقى في مقعده وأدهشها تقبله قرارها، ثم قال:
"كنت أدرك أنك تسعين لعنوانه يا بنتي، ولكن ماذا
تستطيعين أن تفعلي؟"
فتنهدت وقالت بصراحة:
"لا أدري كل ما هناك أنني أريد الذهاب الى هناك، والاهتداء
الى مكانه، وتبين شأنه..."
قال أبوها:

"وما الجدوى؟ سيزيد هذا موقفك سوءا، لبتك ما قابلته..."
"أنه لا يحبك يا عزيزتي..."
"حقا، لقد أحب لوسيندا، وكان مستعدا للصفح عنها... ولكن..."
لعله لم يعد يحبها!
"يجب أن أرحل... وهذا سر بيننا، ولا أريد أن تعلم أمي حتى
لا تحمل هما، سأقول لها أنني سأعمل معلمة في قبرص،
وسأكتب لكما على عنوان البيت، ولكنني سأكتب اليك يا أبي
على عنوان مكتبك لأبلغك بما يجري..."
وهز الأب رأسه قائلا:
"إنك حمقاء جدا يا أبنتي... ولكنني أعرف شعورك،

مكتبة

تحت

أبي

ط

رمز الحب . وازداد عدد الملاحين، وسرعان ما غص السطح
بالناس، ولمحت تيسا شابا انضم الى السفينة من بيربوس
قبل يومين، وتبادلت معه بعض الحديث . ولم تكن خطتها قد
انجلت بعد، فقررت ان تتسمى باسم لوسيندا بالنسبة لكل من
تلتقي به .

وانضمت الى الشاب عند سياج السفينة قائلة وهي تبسّم:
* ما توقعت ان تنهض مبكرا . *

قال مارتن وهو يتناول كراسة صغيرة من جيبه، فيقطع
منها ورقة، ويكتب عليها عنوانه:

* رقم تليفوني هنا، فلا تنسى الاتصال بي، انني على
استعداد لأن أطوف بك الجزيرة . *

وشكرته وقد خطر لها ان معرفة شخص في الجزيرة تفيدها،
اذا لم تعثر على بول، أو تراجعت عن خطتها التي ماتزال
غامضة .

نزلت تيسا في فندق صغير في ليماسول، يمتلكه زوجان
انكليزيان . ولم تصدق حظها حين لمحت الزوجين يتبادلان
نظرة سريعة، اذ ذكرت اسم بول عرضا، وسألتهما ماريلين:
* بول ديمتريوس؟ *

وقبل ان تجيب تيسا التفت زوجها كلايف قائلا:
* أهو صديقك؟ *

* بل أعرفه، وأود ان أزوره . أعرف أين يقيم؟ *

* لا أعرف بدقة، بيته في الجبال، بعد بيلابيس . أعتقد أنه
أعمى . * حدث سيارة وقع له وهو في انكلترا . *

قالت تيسا بعد ان أخذت للصمت برهة، وهي تحتسي
شراب الليمون المثلج .

* أعرفان شيئا عنه؟ *

هذا رأسيهما، وقالت ماريلين:
* انه غامض، لا يختلط بأحد له خادم يتولى أموره . هذا

٢ - سعادتي تخيفني

لاحت اليابسة مع بزوغ الفجر والأفق الشرقي ملتهب
بالشمس الذهبية . وصاح أحد الملاحين، وكان يغسل سطح
السفينة: هاهي ذي قبرص!

* أنها تبدو قريبة جدا لكننا لن نرسو قبل وقت الغداء . *

وصمت لحظة، ثم وجه السؤال الذي كانت تيسا موقنة انه
سيوجهه، كما يحصل دائما لكل امرأة تسافر وحيدة في الشرق
هل أنت وحدك؟ *

فاومات برأسها مبتسمة، وعاد يسأل في انكليزية ركيكة:
* أتذهبن الى أصدقاء في قبرص؟ *

* لي صديق فيها . *

* أهو يقيم في قاماغوستا؟ أين يقيم؟ *

* في قرية صغيرة في الجبال، انظرا الشمس تبتدئ الضباب
والجزيرة تبدو الان بوضوح . *

* هذا الطرف هو بافوس كانت أفروديت تعيش هناك
أعرفين أفروديت؟ *

* أجل أعرف أفروديت، خرجت من البحر عند بافوس . *

* أصبت . كانت رمز الحب . لعل صديقك يقيم في بافوس . *

كانت واثقة ان بول ما كان ليتخذ داره قريبا من منبث

كل ما نعرفه . هل قابلته في انكلترا ؟
فأجابت:

عرفته في انكلترا نعم .

كانت ليماسول في جنوب الجزيرة اما بيلابيس ففي شمالها . ولم تستطع تيسا أن تصبر فأعدت أمتعتها الى حقيبتها، ودفعت أجر سرير لم تستعمله، واستقلت سيارة الى نيقوسيا ثم استقلت سيارة أخرى الى كيرينيا ثم الثالثة الى بيلابيس حيث نزلت في فندق يمتلكه قبرصيان يونانيان: مارولا وسبيروس .

قالت مارولا، وهي تحمل حقيبة تيسا وترشدها الى غرفتها:
أجئت من انكلترا؟ ابني في الجامعة هناك تلقت منه اليوم رسالة . . . عقد خطيبته على فتاة .

فسألته تيسا:

انكليزية؟

قالت:

أجل .

ومن شرفة الغرفة سرحت تيسا بصرها الى اللال الجيرية في سلسلة كيرينيا، وأشارت الى بيت كبير جدا، على بعد وسألت مارولا عن صاحبه، فأجبتها:
انه للسيد سلوين . ان في بيلابيس كثيرا من الانكليز .

وسألته مارولا:

اتبحتين عن رجل انكليزي؟

كلا بل انني أبحث عن شخص يدعى السيد بافلوس ديمتريوس . أتعرفينه؟

وقطبت مارولا جبينها مفكرة، ثم قالت:

سبيروس يعرف كل شيء، وانه لن يلبث أن يصل .

وسألته مارولا:

آنسة بلين . . . ما اسمك الأول؟

فلما اجابته بأنه لوسيندا، قالت:

سأدعوك مدام لوسيندا . . . مرحبا بك في بيلابيس هل تروق لك لغتي الانكليزية؟

قالت تيسا وهي تغادر الشرفة:

انها جيدة .

فعمقت مارولا:

لم اذهب الى مدرسة، لكنني أتعلم من الكتب، ببطء، وهدوء . . .

أود أن أرى كتابك عندما اعود .

كانت مارولا ودودا، هاتئة . ولكن سبيروس كان أكثر تحفظا . . . أخذ يقدم لها صحون العشاء ووجهه الأسمر جامد، وأحضر لها زجاجة شراب وعجبت تيسا، كيف تتفادى احتساءها دون أن تجرح شعوره وأخيرا قالت:

انني لا أشرب عادة . ثم ان هذا أكثر مما احتمل . . .

ورمقها مذهولا، وقال:

أشربي يا سيدتي، انه جيد جدا .

فقالت:

انني نادرا ما أشرب .

واستعصت كلمة نادرا على فهمه، فشرحتها له، وانهار حاجر التحفظ وقالت زوجته:

مدام لوسيندا تريد الاهتداء الى صديق لها يدعى . . .

وذكرت تيسا الاسم فقال:

*أجل انه لا يرى وقطب مفكرا، ثم قال:

انه يقيم في الجبال . على مسافة بعيدة . لا يحب الناس . رجل غريب جدا . غدا اصطحبك اليه .

لم تنم تيسا تلك الليلة . وفي الصباح، أقلها سبيروس

في سيارة نقل صغيرة مغلقة، كان يستخدمها لكافة الأغراض،
سيارة عتيقة، مهترّة، راحت تتخبط بهما، ولم تكن تيسر ترى
حولها سوى الجبال الى يسارها، والبحر الى يمينها، وبينهما
بساتين الليمون والزيتون تتخللها الزهور الاقحوانية القرمزية،
تخالط كتلا متتابعة من الزهور الذهبية واخرى متباينة
الاحجام والألوان. وازداد الطريق ضيقا فلم يعد يتسع لغير
عربة وتناثرت فيه الاحجار. وما لبثت تيسر أن رأت المنزل:
كان أبيض ومنخفضا، يشرف على منظر الجبال والبحر،
وعصمت بالانفعال الجياش. فلما استقرت السيارة أمام البيت
عرض سبيروس أن ينتظرها خارجه ووقفت تتأمل البيت. لم
تكن تلوح فيه علامات الحياة، وأخيرا سألته:
* كم أستغرق للعودة ماشية على قدمي؟ *

وعجب الرجل، وألح أن ينتظرها، وأخيرا قال أنها ستضطر
لاجتياز حوالي نصف الميل، يستغرق منها نصف الساعة،
فقالت اذا لا تنتظرنني، وشكرا جزيلا اذ أحضرتني، سأعود
مشيا على قدمي.

وما أن اختفت السيارة، حتى استدارت، وعادت تتأمل
البيت. كان بياضه باهرا ازاء خلفية من اشجار خضراء على
سفح الجبل. وكانت النواغذ كبيرة، تفضي جميعا الى شرفات
وقد أغلقت مصاريعها الخضراء والصفراء. والزهور تحيط
بالمبنى من كل الألوان، وزهور الليمون ترسل شذي رائعا.
وطالت وفتتها، تفشاها لحظات شك فتستدير وتود أن تعود
نابذة خطتها. ولكنها ما لبثت أن سارت الى الباب. وأدهشها
أن يدها كانت ثابتة، حين ضغطت زر الجرس أخيرا. ولم
تسمع سوى رنينه. وعادت فضغطت الزر، وفي الحال فتح
الباب رجل ضئيل الجسم، داكن السمرة، وأجفلت، وانبعث
صوتها مرتجفا، وهي تقول:

* هل السيد بافلوس ديمتريوس... يقيم هنا؟ *

وأجابها الرجل بانكليزية سليمة:

* أجل ياسيدتي، فماذا تريدين؟ أنه لا يستقبل زائرين.

* أظنه سيغير رأيه دعني أقابله.

وارتبكت اذ سألتها عن اسمها، ثم قالت:

* اسمي... اسمي لوسيندا.

ودعاها للدخول، فاستجابت وهي ترفع يدا مرتجفة الى
فمها: ما الذي فعلته؟ وأجفلت اذ أغلق الرجل الباب، وأحست
بشر داهم. ولكنها غالبت مخاوفها بجهد خارق، والتفتت
حولها وكان اليهو معتما، اذ كانت كل المصاريع الخشبية
للنوافذ مغلقة. وعلى البصيص المنساب خلالها، تبينت أن
الاتات قليل وعلى مائدة استوى اناء ضخمة مليء بورود عطرت
الهواء.

وسمعت وقع قدمين، فعاودها الارتجاف، والتفتت ببطء
وهي مترددة كان بول يقف في فراغ الباب، طويلا نحيفا شديد
السمرة، وتطلعت الى عينيه، ثم أمسكت انفاسها، كانتا كما
عهدتهما، ولكنهما خلو من أي تعبير ومع ذلك، فمن الغريب
أنهما لاحتا كما كانتا، داكنتين عميقتي الاغوار. بدا من
المستحيل انه لا يستطيع الابصار، وانتقل نظرها الى يديه،
كانت احداهما الى جانبه، والاخرى تقبض على عصا. وقد
بهت لون بشرتهما، ولكن سمرة أصلا اتسقت مع دكنة
الحروق، فلم يكن في منظر اليدين ما ينفر النظر، ولا ما يثير
الاشمئزاز كما زعمت لوسيندا. ومع ذلك كان من الواضح انه
عاسي حروقا قاسية خيل الى تيسر انها ستلازمه بقية عمره.

وانبعث الصوت الحبيب:

* لوسيندا.

فشرعت تقول:

* انني جئت يا بول. كما قلت أن بوسعي المجيء، لا سأل...
لاسالك... *

رباه! ماذا تفعل هذا الخداع فوق طاقتها، فودت لو تستدير
وتغر... ولكن ما أشد قسوة هذا وعادت تقول:

*بول... انني أسفة...
أسفة؟

كان صوته هادئا، غير مصدق... وخالج تيسا شعور غريب
بالخطر، وهي تتأمل وجهه. أكان صوته مشوبا بمرارة، أم
أنها واهمة؟ وزال هذا الشعور، حين بادر قائلا:

هل عدت الي؟

وندت منه زفرة كبيرة، وتابع قوله:

عدت بالوسيندا لتسأليني... ماذا؟

ولم تقو على أن تتحرك أو تنطق، إذ بدا الموقف غير
واقعي، فسألت نفسها أتراه حلما مغرقا في الضيال، لن تلبث
أن تغيب منه لتجد وسادتها مبللة بدموعها، كما حدث مرارا
خلال العامين الأخيرين؟ وعاد يسألها:

لماذا جئت بالوسيندا؟

*لأسألك الصفح. قلت انك مستعد للمغفرة، أمازلت مستعدا ان
تقبلني؟*

وأذهلها أن الكلمات أصبحت تتدفق منها دون عناء وشدهت
لعدم واقعية الموقف، كان شخصا سواها يتكلم، أو بالآخرى
يدفع الكلمات الي قمها، وبدا صوته هو الآخر مذهولا مما
يحدث، وان كان قويا حازما:

*انني مستعد للصفح بالوسيندا، كنت أود أن تعودني الي
ولكني ما توقعت أن تعودني حقا...*

ووضع عصاه على مقعده، لم يخطيء موقعه وبسط يديه
قائلا:

دعيني أضمك بين ذراعي يا عزيزتي لوسيندا الجميلة!

وأسلمته تيسا يديها، فجذبها اليه وبهرت للمرة الأولى -
بعناقه لم يعد لأي شيء قيمة الان، إذ ازاحت فرحة الفوز

كل انفعال آخر، وأحست بقدرتها على مواصلة الخداع! أصبحت السعادة ملكها ولكم سئسد بول! بحبها تستطيع
تعبيد طريق حياته، فتعنى به وترعاه، وتجعل عينيها عينيها!
وظفرت الدموع من مقلتيها، ما تصورت أبدا - ولو في أكثر
تخيلاتها جموحا - أن تحظى بسعادة كهذه. واكتشفت أصابع
بول دموعها، وهي تتحسس برفق وحنان قسماتها، فتساءل:

أهو الندم بالوسيندا؟

*ما هذا الذي اعترض سكينه نفسها، في لحظة الغبطة
الفائقة؟*

ومرة أخرى كان في صوته ما جعلها تصرع خائفة:

هل غفرت لي يا بول؟ أمازلت تحبني؟

وقال:

*غفرت يا أعز حبيبة... سنسعد معا بحياة رائعة بالوسيندا،
كل ما في الماضي أصبح منسيا...*

وتبينت إذ ذاك فقط كيف استبعد - دون مشقة - ما أصابه
من لوسيندا من جراح، وما هو يتقبلها في حب دونما لوم أو
تأنيب، مما ينم عن مدى حبه لها! وكانت أصابعه ماضية في
تحسس قسماتها، فتذكرت أن للعمى لمسات حساسة، فهل
يكتشف اختلاف ملامحها البارزة العظام، عن استدارة واملاء
قسما لوسيندا الجميلة؟ ولكنها ابتسمت إذ وصلت أصابعه
الي شعرها، ثم ربتت خدها وعمفمت وهي تشده اليها:

*لكم أنا سعيدة... ما كان للحياة معنى لدي منذ... منذ بعدت
عنك!*

كان بوسعك أن تأتي قبل الان، لقد أنقضى أكثر من عام

وتسارعت دقات قلبها جزعا، ثم قالت:

ما تصورت انك ستقبلني!

*هل خشيت ألا أكون عنيت ما قلت؟ كنت أعنيه كنت أريد

أن تأتي. ما اشتهيت شيئا في العالم أكثر مما اشتهيت أن تكوني زوجتي*.

وأغمضت تيسا عينيها، كيف استطاعت لوسيندا أن تنبذ حبا عظيما كهذا؟ وترددت وهي لا تدري كيف تصوغ كلماتها*
ثم قالت:

* أقسم بأنني أحببتك دائما، برغم ما حدث... وسأقضي عمري محاولة أن أعوضك عما عانيت من ألم*
وغمغم بصوت خافت، كادت لا تلتقطه:

* انني أصدقك يا لوسيندا، وأدرك أنك لا بد تحبينني، إذ جئت راغبة في اتخاذ رجل أعمى، زوجا*.

وشدها إلى صدره فزاد الاطمئنان، كانت سعادتها فائقة، حتى اكان يسعددها ان تبقى بين ذراعيه للأبد. وما كان يهمها أن هذا كله كان موجها إلى لوسيندا، فقد أدركت - منذ اتخذت قرارها - أن ما تتلقاه لا يخصها أصلا، ولكن ما قيمة هذا مادامت معه، وما دام هو لها، تحبه وتعتر به وتخدمه، ما كانت تيسا لتبغي أكثر من هذا.

* * *

قررا أن يكون زواجهما يوم الثلاثاء - قبل اكتمال أسبوع على وصول تيسا - لكي لا يبددا الوقت، وكشفت الأيام السابقة على ذلك لتيسا ما لم تكن تعرفه. كانت - قبل لقائها ببول - ككل فتاة في سنها، تتصور الحب، وترسم في ذهنها التغيير الذي سيدخله على حياتها ظهور حبيب. ولكن ما صادفته في تلك الأيام فاق كل آمالها واحلامها، وكان السماء ذاتها لن

تهيء لها نعيما أعظم، وأصبحت هي بصره، وهما يتمشيان في حديقة الدار، أو الدرب الممتد خلفها. كان هواء شهر نيسان - (ابريل) ينضج بعبير المطر. وقال بول:

* ما أطيب الخروج يا لوسيندا، نادرا ما خرجت منذ جئت إلى قبرص، وكنت أقنع بالجلوس في الحديقة. وقادته إلى ضفة معشوشبة عند جدول صغير، واحضرت معها معطفين واقيين من المطر من قبيل الاحتياط، فبسطتهما على الضفة، وقال بول:

* خربير الجدول بديع... هل الماء المتدفق كثير؟
وأمسك بيدها إذ جلست بجواره قائلة:

* ليس كثيرا... انه ينحدر من السفح متألقا تحت أشعة الشمس، مرتعنا كشريط فضي يداعبه النسيم، والزهور يابول، ما أبهاها! ما تصورت نمو الزهور البرية بهذه الكثرة*.

وراحت تصف له كل نوع وتقطف له زهرة منه، فيذكر لها اسمه، وقالت وهي تصف له كل شيء:

* ما أجمل امتزاج الألوان، هكذا الطبيعة، تتقن كل شيء*.
وخالت أن في لهجته الرصينة رنة تشاؤم أو تهكم، وهو يقول:

* أجل يا لوسيندا، الطبيعة تتقن ما تبذع... لا يرتكب الأخطاء سوى الانسان والصق خده بخدها فزايها القلق، وأصبحت دنياها وردية وقال:

* زيديني حديثا يا حبيبتي! هل ترين البحر؟*

* أجل تحتنا بعيدا، فيروزي جميل قرب الشاطيء ثم يتدرج إلى أزرق داكن، مع بقع أخف لونا أخال أنها نشأت عن انعكاس السحب على الماء*.

* أهناك سحب فوق البحر؟*

* مجرد نتف رقيقة وزرقة السماء الوضاعة أكثر وضوحا،

وعلى بعد أكبر - في البحر - تصبح الزرقة مشوبة ببنفسجية،
ثم تصل الى خط التقاء السماء بالبحر، ولا تشعر بالاتساع
الشاسع، بل تكاد تتصور أن بوسعها أن ترمي الأفق بحجر من
مكانها على البر.

هل يبدو البحر كشريط ضيق؟

*بطريقة ما .. ومع ذلك فهناك سفينة بيضاء جميلة، تتيح
منظرا يجعلك تتبين مدى اتساع البحر لأن السفينة
تبدو كلعبة بحجم صندوق الثقاب.

وأمسكت اذ تحرك حجر عند قدمي بول، ثم هتفت:

*انظرا سحلية وما لبثت يدها أن ارتجفت في يده، فقال:

انني أستطيع رؤيتها يا حبيبتي!

قالت:

أما اكتفيت من ثرثرتي؟

*صوتك كال موسيقى يا الوسيندا . بجانب هذا فانت تبدعين
وصف الأشياء، اتعرفين يا عزيزتي، انني لم الاحظ هذا من
قبل .. ترى لماذا؟*

ومس الخوف قلبها، وأسرعت تقول:

*ما كانت هناك أشياء طريفة كهذه تستحق الوصف.

ولكم أراحها أن هز رأسه موافقا، وعندنا جنحت الشمس
للمغرب، ونهضا، تناول منها المعطفين الواقيين فأمسكت
بيده، وشقا طريقهما في درب حجري منحوت في سفح الجبل،
وتحدده صخور شديدة، فكانت قيادة السيارة فيه أمرا
رهيبا . ومع ذلك صادفا سيارتين اتجهتا الى بيت رجل أعمال
انكليزي متقاعد، قال بول ان له أصدقاء يترددون عليه،
فسألته:

الا تتلقى زيارات منه؟

وأجاب بلهجة حادة ما سمعت مثلها منذ قدومها:

لا أحد يزورني.

كان بول أصلا شديد البنية، وقوي الشخصية، متغطرسا،
معتدا بنفسه، مما جعله فوق مستوى الرجال العاديين الذين
عرفتهم . غير أن عماه جعله ضعيفا، اذ اضطرت للاعتماد على
سواه في كل صغيرة .. هذا فيما بينه وبين نفسه، فلا سبيل
لغير ذلك وفهمت تيسا السر في أنه لا يأذن للانحراب بزيارته .
وما لبث أن قال:

*نستطيع تناول الشاي في الشرفة، وتصفين لي غروب
الشمس.*

وأعد الخادم تاكيس الشاي في البهو، فتناولاه هناك، ثم
دخلا الشرفة، ووقفت ملاصقة له، عاقدة ذراعيها في ذراعيه،
وهي تقول:

*الشمس تهبط، كرة كبيرة من اللهب، والسماء قرمزية،
وذهبية، وصفراء مقاربة للحمرة، وقطع السحب متوقدة،
يالسرعته في الرحيل تراها تتحرك.*

قال:

ومع ذلك فنحن الذين نتحرك حولها.

ومست الشمس حافة الأرض، وما لبث أن غاص آخر قوس
منها وراء الأفق تاركا ذيولا من اللهب .. وكانت تيسا تصف له
كل حركة ثم قالت:

*هذه هي النهاية حتى الغد . اواه يا بول، السماء .. فيها لون
البنفسج ولون البرتقال الزاهي ..*

وشدها اليه وعانقها .. وزفرت في اغتباط عذب، وأسندت
رأسها الى كتفه .. وظلا واقفين طويلا في هواء المساء
اللطيف، وروائح الزهور المحيطة بهما تمتزج، ويظهر عليها
شذى الليمون .. وأحست تيسا بيد بول تتحسس شعرها
وتقيسه، ثم قال:

انك تركته ينمو، فهو أطول من ذي قبل ..

قالت:

ان الانماط تتغير يا بول

ومست شفثيه ابتسامة باهتة وقال:

* أجل هذا غريب، فالانماط كما عرفتھا منذ عام ٠٠ وأسرعت
تقول ٠٠

* كلا يا عزيزي ٠٠ سأصفھا لك ٠٠

وانحنى قطبع على شفتيھا قبلة ٠ وما لبثا أن دخلا، فقال:
* اقرأ لي يا غرامي، لفترة قصيرة قبل أن أوي للفراش ٠٠٠
واستهوأهما الكتاب، حتى انتهت تيسا الى أن الساعة
التاسعة فهتفت:

* أتعرف كم الساعة يا بول؟

ومس بأصابعه الساعة البارزة الأرقام التي يحملھا، وقال:
* يا لله! ما أسرع ما يطير الوقت! ٠٠٠

وذھبت الى المطبخ تطاب العشاء، فلما عادت اقترحت أن
يتناولاه في الشرفة، حيث جلسا وخلفهما أشباح الجبال
المعتمدة، وخرير البحر ينساب من بعيد، وأشجار النخيل
تتمايل ٠٠ وقالت تيسا في حذر، لكي لا تكشف ما خبرته في
أسفارھا:

* القمر هنا مختلف ٠٠ أعني أنه في انكلترا أصفر حجما ٠٠ أنه
أشبه بقرص كبير من الثلج الأزرق ٠٠ كأنه شمس تجمدت
بالبرودة ٠٠ وتأثير ضوءه على السماء مختلف كذلك ٠٠ هناك
تألق بلون الياقوت الأزرق، مما يضاعف الايحاء بالبرودة ٠٠
* ما أبدع وصفك يالوسيندا ٠ كأنني أرى كل شيء بجلاء ٠٠٠٠
ان وصفك لا يبعث اضطرابا، فان فيه شيئا من الواقعية
الثابتة ٠٠

وحملت فيه غير مصدقة، كان هذا شعورها، فكيف تسنى
نقله اليه بدون كلمات؟ وظلا جالسين حتى قرابة انتصاف الليل
وعندما افترقا عند باب غرفته ضمها برفق وقال:
* بعد ساعات قليلة تصبحين لي يا عزيزتي ٠٠

وقالت:

* هذا كل ما ابتغي يا بول، أن اكون لك ٠٠

وزاغ منها النوم - وفي الساعة الثانية من الصباح كانت
تجلس على الفراش تكتب لأبيھا:
* أشعر كأنني نقلت الى السماء ٠٠ لكم أنا سعيدة حتى أن
سعادتي تخيفني! *

٣ - قبل هبوب العاصفة

جاءها الرد بعد عشرة أيام . وبعد أن أبدي أبوها ذهولا
للأنبياء التي أفضت بها اليه، كتب قائلاً:
*كم وددت أن ألع في نصحك بالعودة فوراً، ولكن الخطوة
الخطيرة ستكون قد اتخذت، عندما تصل رسالتي إليك، حسنا
يا بني، هذا ما كنت تودينه منذ التقيت بول ولا أملك سوى
أن أمل، وأدعو الله، ألا تعرفي بعد الآن سوى ما يحقق أمنية
فؤادك . وكم تذهلني سرعة صفح بول عما أصابه من غيب،
ومبادرته بتقبلك (أو بالأحرى تقبل لوسيندا) كزوجة له . انني
كما تعلمين عشت في اليونان فترة في شبابي، ولا أوقن حتى
الآن بقدرتي على قراءة شخصية اليوناني العادي . ولقد
حدثت دائماً - بالنسبة الى بول - وجود شيء من القسوة
البدائية الكاملة، تحت غشاء الحضارة الغربية التي اكتسبها
باقامته طويلاً في بلادنا . وكان الأيسر أن أتصوره كمنتقم لا
يرحم، يبتكر خطة شيطانية لمعاقبة لوسيندا . ولكن وصفك
المثالي لا ستقباله اياك يبين أن الأمر لم يكن هكذا وأن
مستقبلك يبدو مكفولاً *

انتقام . . . عقاب؟ ابتسمت تيساً، فما كان أبعد هذا عن
ذهن زوجها، مضى على زواجهما أكثر من أسبوع، وما

من عروس فاقتها جبورا، وما من زوج فاقه حناناً، كان عطاء
كل منهما سخياً وتلاشى ما كانت تعانيه من يأس ولوعة، وما لا
تعرفه الآن من حب بول لاختها، كحلم يتبدد باليقظة، وتقبلت
ما كان يقدم بلهفة وعرفان، وبنثقة واطمئنان لحبه، فكان
رزينا لدرجة تغيظ، ولكنه دائماً العاشق الحنون اللطيف، مصرا
على أن يرقى بها الى عوالم النشوة والغبطة، وغشياً خلال
هذه الفترة جمال تولد عن الرضى والاطمئنان الى الوحيد الذي
أحبته، وكانت في بعض لحظات التأمل تواجه حقيقة أن هذا
كله كان موجها الى لوسيندا ولكنها - لدهشتها - لم تكن تجد
عناء في طرح هذا جانباً .

ويوم تلقت رسالة أبيها، تأخرت دقائق عن الفطور، فبحث
عنها بول، وعثر عليها في غرفة الجلوس، وهزها صوته -
كالعادة - وهو يسألها:

أنت هنا يا عزيزتي؟

وأخذ يدق سيقان أحد المقاعد بعصاه برفق، فأجابت:

نعم . . أتريد شيئاً؟

قال وهو يجلس مبتسماً، مواجهاً اياها:

لا أريد سوى زوجتي الجميلة!

وذكرت أنها تلقت خطاباً من أبيها، وأنه يبلغه تحياته
فسألها:

هل ستقرأينه لي؟

انه السؤال الذي كانت تخافه! وطاقفت عيناها بالورقة،
وأخذت تبتكر الكثير من الحديث، لكنها قرأت الخاتمة:

ان مستقبلك يبدو مكفولاً

فردد العبارة فاقتربت من مقعده قائلة:

يعني ان مستقبلنا يا أعز الناس سيكون رائعاً يا بول .

وتناول يدها فالصقها بخده . وقالت وهي تحس برنة تحمس
تسلل الى صوتها:

*ماذا تود أن نفعل اليوم؟ بوسعنا الذهاب الى السباحة أو
لعلك تريد شراء الأشياء التي كنت تتحدث عنها؟*

وذهبا الى نيقوسيا في سيارة مستأجرة لرجل يدعى
كيبروس، سلكت بهما طريقا جديدا في أقصى الحافة الغربية
لجبال كيرينا. فأخذت تيسا تصف له - طيلة الطريق - المناظر
الطبيعية المتغيرة، وبعد جولة في المناجر، تناولوا غداء
انكليزيا في فندق صغير، وتمشيا قليلا، ثم عادت بهما
السيارة في الطريق الذي جاءت منه.

في أصيل ذلك اليوم جلسا في الحديقة، لا يتخلل السكينة
سوى رنين ينساب من بعيد للأجراس المعلقة بقراب الغنم،
وأزيز الحشرات. ومن الحديقة كان شذى الورد ينساب اليهما،
ممتزجا بعبير أشجار الدفلى التي تؤلف سياجا سميكاً بين
أرض الفيلا وبساتين الليمون، التي كانت ملكا لبول وكذلك
بساتين الزيتون وعدد من حقول الحنطة، وأراض أخرى أبعد
مدى وسألها:

أسعيدة جدا؟ أنتظنين أنك بلغت ذروة السعادة يا لوسيندا؟

بدأ لها السؤال تحريبا، ولكن لم تدر مبررا، وقالت بصوت
خافت وهي تتأمل ساقيها السمراوين وتتذكر ساقي لوسيندا
البيضاوين:

*لا بد أن هذه هي ذروة السعادة ما أظن من الممكن الارتفاع
لأكثر من هذا.*

وبإشارة صامتة أبدى رغبة في الإمساك بيدها وقال:
أذن فقد بلغت أقصى الأعالي.

وبدا فجأة انه جد بعيد وقد ولى رأسه نحو قمة يعلوها حصن
سانت هيلاريون العتيق، وتتبعته التفاته، فرأت حركة
خاطفة. كانت النسور تحوم وتعود فوق القمم. ولسبب لم
تدر له تعليلا، قفزت الى ذاكرتها كلمات من قصيدة قرأتها
أيام الدراسة: السكون شامل، اللهم الا حين ينقض

نسر مشهرا مخالبه فيحمل الفريسة الودية الى هلاكها
وارتجفت وسحبت يدها من يد بول، قائلة:

هناك برد يا بول، برد قارس!

فأبدى دهشته، وقالت وأنفاسها تبدو متهدجة، وهي ترمقه
في حيرة، لا تدري مبررا للخوف الذي احتواها:

انني شعرت بقشعريرة. ساذهب فأرتدي شيئا.

*هل بك شيء يا عزيزتي؟ لا سبيل لأن تشعرني ببرد لقد كدت
أتخفف مما ألبس!*

وكان يرتدي قميصا وسروالا قصيرا - كانت حتى تلك
اللحظة تشعر بدفء غامر وقالت:

أشعر بالدفء ثانية.

فأنحنى عليها قائلا:

*ماذا هناك يا حبيبتي؟ لا أشعر أنك باردة فأنت دافئة
جميلة!*

وانكلمت ملتصقة به كأنها تنشد حمايته وقالت:

*أحيانا يرتجف المرء، لغير ما سبب ظاهر وألصقت خدها
بخده وهي تتبين مدى قلقه عليها، وتعجبت: أتخطى غيرها
بزوج يفوقه حبا؟*

وخلصها من ذراعيه ليذهب الى داخل البيت، وراقبته وهو
يسترشد بعصاه، لاسا بها الأشياء المألوفة: شجرة التين،
وشجرة اللوز، والنخلة العالية، ثم درجات السلم، وعمود
الشرفة الذي التفت عليه فروع الكرمة وأغمضت تيسا عينيها،
محاولة أن تتبين كيف يكون العمى، ظلام دائم، حتى نهاية
العمر! وفتحت عينيها اذ شعرت بابتلال أهدابها. كانت
الشمس تشرق على الحديقة والفيلا البيضاء وكل شيء مشرق
بالنور. وجلست وقد عاودها الدفء وترقبت عودته، وامتلأ
قلبا اشفاقا اذ رآته يعود مهتديا بعصاه، لو أن الحادث لم
يقع، لو أن لوسيندا لم تلمس عجلة القيادة ما كانت هي،

تيسا هنا، وما عرفت نعيم الأسبوعين الأخيرين، أجل ما كانت هنا إلا لأنه أعمى!

وسارا في وقت لاحق يستروحان نسيم المساء، وكل فتنة تنحسر إذ تجنح الشمس نحو المغيب، وهتفت وقد وقفا معا فجأة:

* انه لسحرا الأفق ملتهب وفي السماء قوس كبير مصطبغ باللون القرمزي، البرتقالي والسحب البيضاء الصغيرة موشاة باللون القرمزي، والنتف الصغيرة الرقيقة أشبه بلون ذهبي نصف شفاف، ولكنها أخذت تتحول الى البنفسجي وعادت تهتف:

* انه اسحر... استطيع تصويره يا عزيزي؟*

فأجاب بلهجة محيرة، واهنة:

بوسعي أن أراها، كيف غفلت عن هذه المقدرة الرائعة لديك؟

* ما فطنت الى وجودها ابدا!

وارتبك نبض تيسا وهو يتابع الحديث:

* ما أكمل وصفك للأشياء؟ انني كما قلت أرى الغروب...*

وتغضن جبينه وهو يبدو في حيرة، وفجأة هتفت تيسا...*

* انصت يا بول اجراس الغنم!

كانت موسيقاها الرقيقة تنساب من بعيد وسط صمت الجبال، وشدت أصابعه على يدها وهو يقول:

* رائعة، أتعرفين يا لوسيندا انها قد تكون منبعثة من بعيد، من مسافة طويلة جدا، بسبب صفاء الهواء ورقته غير العاديين في هذه الجبال...*

ووقفا يصغيان طويلا ثم ارتدا الى البيت.

* * *

قالت وهما يتناولان الافطار:

* الى أين نذهب اليوم يا بول؟*

كان ذلك في اليوم التالي لزيارتها نيقوسيا.

* الى أي مكان غير بعيد. اختاري أنت يا لوسيندا...*

واقترحت أن يسبحا، فقال:

* فكرة ممتازة، ما رأيك في الشاطيء الممتد غرب كرينيا؟

ستجد كهفا رهليا نستأثر به...*

واستدعت كيبروس هاتفيا... وقال بول مفكرا وهما ينتظرانه:

* لا بد أن نقتني سيارة يا لوسيندا... وانت تعرفين القيادة...*

* أجل...*

ولكنها شعرت بمسؤولية القيادة وبول معها، في الدرب

الضيقة على سفح الجبل، الذي تحد أحد جانبيه هاوية... قالت:

* الطريق ليست جيدة...*

فأشار وكأنه يزيح اعتراضا صيانيا:

* الغير يستعملونها...*

وخيل اليها أن في صوته حدة مقتضبة، ولكنها أسرع

تستبعد الفكرة، وقالت:

* أجل أراك على صواب... سيكون امتلاكنا سيارة أكثر

اقتصاداً...*

وانطلقا هابطين من الجبل تحت شمس متألقة وعلى جانبي

الطريق ألوان متمازجة في فوضى، واستدار نسر فوق القمم

الصخرية ثم انساب كشبح في كبد السماء، وسألها بول بلطف

وحنان:

* ماذا ترين؟...*

قالت:

* أننا نقترّب من بيلابيس...*

فهتف:

* ذلك الظل القوطي الغخم، حدثيني عنها *

* انه من الحجر الرملي البني، لونه الشمس كثيرا، ولكن الأقواس الشامخة نحو السماء الزرقاء، تبدو جميلة. وفي الحديقة أطول ما رأيت من أشجار السرو، وأكثر استقامة... *
وتوقف كيروس أمام مقهى صغير، جلس الرجال فيه كالعادة يلعبون طاولة النرد، ويتحمل الخاسر نفقات المشروبات، التي كانت عبارة عن قهوة تركية في أقداح صغيرة، تصحبها زحاجة ماء مثلج. وأمام المقهى أراضي الدير تتأجج بألوان زاهية، وتحت أسواره العتيقة، شجرة المستحية المشهورة تبسط ظلا يرحب بالأهالي والسياح القلائل... لقد أخذ القرويون يؤمنون الكنيسة التي ترجع للقرن الثالث عشر - بعد أن أعادوها للطقوس اليونانية. واكملت السيارة تهبط بهما. وقامت أشجار الخروب على جانب الطريق، تطل على بحر من اللونين القرمزي والذهبي، حيث انتشرت زهور الاقحوان.

قالت تيسا بعد وصف هذا لزوجها:

* تناسق الألوان يأخذ بالأنفاس. والحملان يابول، انها صغيرة جدا، تسعى وراء حليب الأم باستمرار والماعز، الراعي واحد، ولكنها بمعزل عن الغنم ترى لماذا؟ *
فقال مداعبا:

* لعلها تعتبر نفسها أرقى من الغنم *

وضحكت تيسا. وأبطأت السيارة ليمر بجوارها فلاح يركب حماراً يسير على مهل. فقالت تيسا:
* صورة لطيفة اذا شوهدت من الخلف بسبب شكل الحمار والرجل والسلتين الكبيرتين. *

وتألق البحر تحتها، فأطلقت تيسا زفرة رضى قائلة:

* انه رائع يا بول! *

وتريث بول، فالتفتت اليه، أترأه كان وهما، ام ان شفثيه كانتا تحملان ومضة انتصار؟ ولكن كلماته جاءت

محملة بالحنان المألوف:

* انك على صواب يا زوجتي الجميلة... انه رائع! *

وأطالت النظر اليه، فإذا به يبتسم وقد تلاشى الوميض الذي عقبته لحظة عدم ارتياح. وامسكت يده، فأحست بقلبيها مليئاً بالهناء والدفء.

وبعد أن استبدلا ثيابهما في أحد أكواخ الشاطيء المتداعية على التلال، نعما بساعة من الاسترخاء على الرمال الداغثة، قبل أن يهبطا الى الماء. وأدركت تيسا أن بول - وأن لم يسألها - كان يود أن تبقى قريبة منه. تلك هي المرة الثانية يذهبان فيها الى البحر، وقد خامر تيسا شعور من السعادة لأنه كان بمساعدتها قادراً على الاستمتاع بالسياحة ثانية، كان يحبها اذ اعتاد أن يقضي مع لوسيندا كثيرا من الوقت في مسبح قرب البيت، واذ خرجا ناولته منشفة وراحت ثقامله وهو يجفف وجهه، ثم ذراعيه وساقيه، وأخيرا شعره الفاحم، الذي تجعد متهدلا على جبينه، فبدأ شبابه فاتنا، واستلقى بول على الرمال، عاقدا ذراعيه خلف رأسه... كان نحوله يتميز بقوة عضلية كبيرة، وكانت سمرة تبدو نتيجة للتعرض للشمس، أكثر مما تعود الى اللون الطبيعي لبشرته، وقد علل هذا بأنه كان يلزم الحديقة مذ جاء الى قبرص، وعندما أخبرته بأن الساعة بلغت الواحدة اقترح أن يتناولوا الغداء، فقالت

* ليكن ما تقول! *

وعلت شفثيه ابتسامة، وقال:

* كم أنت لطيفة ومعنية دائما يالوسيندا، هيا لنذهب الى مارمونت. *

وكان هذا فندقا غير عادي في كارافاس على بضعة أميال من كرينيا، يقوم على حافة صخرية فوق خليج رملي جميل، وشرفاته تطل على البحر وعلى الجبال، فجلسا

مواجهين للبحر، وعلى الرمال تحتها نقر من السياح يستمتعون
بالشمس وبالسياسة في الماء الصافي الساكن، وتناولوا غداء
من الكباب والسلطة، والشراب القبرصي، وكان كيبروس قد
ذهب لزيارة صديق له، فلما فرغا من الغداء، اقترحت تيسا ان
يهبطا الى الشاطيء، ريثما يعود، وكانت الرمال جافة
وداهنة، فأخذوا يخطران وقد تشابكت يداهما، حتى سمعا
صوت كيبروس يعلن عودته.

وتساءلت وهما يصلان الى السيارة:

"أترجع الى البيت الآن؟"

"أتريدان الذهاب الى مكان آخر لعل كيبروس يقترح مكانا
ما."

قال السائق وهو يرمق تيسا متسائلا:

"هل أقلكما الى الينابيع السبعة في لابيتوس؟"

كانت رحلة باهرة بدايتها، وسلكوا طريقا جديدا يصعد
القرية وترتفع بعض أجزائه الى ما يزيد على ثمانمائة قدم
فوق سطح البحر، وكانت الدروب المتوية محفوفة ببيوت
عتيقة، رملية اللون، وفي كل حديقة أشجار الليمون يملأ
عبرها الهواء الساخن الرقيق، وأشجار الزيتون والجوز واللوز
والرمان مزدهرة في الحقول، وعلى مستوى اعلى وفي أحضان
صخور بارزة على جانب الجبل قامت فيلات بيضاء جميلة
لأغنياء القبارصة والانكليز المقيمين، يتألق بياضها ازاء
الخلفية الجبلية السمراء، والسفوح المكسوة بأشجار الصنوبر.

قال كيبروس، وقد أوقف السيارة، وفتح الباب لبول:

"هنا المياه البديعة التي اكسبت لابيتوس الرخاء انها تسمى

الآن كيفا لوفريسو أنظر كيف ينبثق الماء من الصخر."

"أنظر؟" غص حلق تيسا، وهي تقف بجوار زوجها.

كان الماء ينحدر من النبع الواسع الدفين في جوف كتلة
الصخر الجيري غير المنتظم، وقالت تيسا والجرج يخف عنها:

"انه يبرق كالفضة تحت ضوء الشمس، لابد أنك تسمعه، ألا
يبدو رائعا؟"
قال:

"بل أنه يبدو قويا، الظاهر ان حجم الماء المنحدر عظيم."
قال كيبروس:

"انه يمد المنطقة بأسرها، ولهذا فان لابيتوس أكثر خضرة من
أماكن كثيرة."

وأمسكت تيسا بيد بول وبعد فترة ذهبا الى مقهى صغير
هناك، وبمودة القبارصة وكرمهم جاء صاحب المقهى
فجالسهما وأخذ يثرثر معهما، كان المنظر الطبيعي عجيب
البهاء، أشجار الزيتون والنخيل تتسامق نحو السماء، والبيوت
العتيقة تتشبت بجوانب التل، والكنائس البيضاء بقبابها
وابراجها البديعة المنظر، والساحل المقوس تتخلله خلجان
صخرية، واشباه جزر ضيقة، ثم الامتداد الشاسع المهيب
للبحر الابيض المتوسط، والأفق النائي يبدو كالضباب عند
التقاء البحر بالسماء.

قال صاحب المقهى وهو يرمق بول، ثم يلتفت الى تيسا:

"أهذه زيارتكما الأولى للابيتوس؟"

وتفحص بنظراته تيسا، فعجبت مما كان يجول بخاطره،
فقد كان "اليوناني الغريب" معروفا - لأميال حول داره
كناسك، وفجأة بدا يطوف ويتجول مع زوجته الجديدة، وما
درت تيسا أنها كانت موضوع مناقشات كثيرة، فالقبرصي
يحب أن يعرف ما يجري، وأي غريبة تظهر في إحدى القرى،
لا تلبث أن تصبح موضوعا لأستئلة متتابعة ومتراكمة، وهكذا
حتى تصبح سيرتها معروفة، وبعد ذلك لا تبقى غريبة، بل
يتقبلها ويبتسم لها كل رجل وامرأة وطفل في القرية!

أخيرا قال بول بلطف:

"أجل هذه زيارتنا الأولى اعتقد ان أشار احدي الممدن

الواسعة قريبة من هنا *.

* لاصبوسا هكذا تسمى اليوم، ولكنها في الواقع لابييتوس القديمة. انها على الشاطيء وليست على الجبل. زيارتها مباحة، ولكن ما أقل ما يشاهد فيها، فقد دمر الزلزال كل شيء ونمت الاعشاب والنباتات ويقال أن هناك كنورا كثيرة تحتها، ولكن أحدا لم يقم بالتنقيب بعد *.

وأشار في اتجاه كيرينيا قائلا:

* انها على بعد حوالي ميل ونصف، على الشاطيء كما قلت *.

* * *

وفي طريق العودة عرجوا بالسيارة عليها، واعتبطت تيسا اذعرت على يد قنينة أثرية كبيرة، وحافة قنينة أصفر، قالت:

* تحسنا يابول، هل تتبين زخارفها؟

وثبط كيبروس تحمسا قائلا:

* هنا الكثير الكثير جدا من هذه. والمقيمون في المنطقة يزهدون فيها ولا يلمنقطنونها *.

وقال بول بشيء من العجب:

* يحسن أن تلقي بهما. فهما ليسا اثريتين جديرتين بالاقتناء *.

قالت:

* ولكني سأحتفظ بهما تصور أنهما صنعتا قبل ألفي سنة وأكثر *.

وخيل اليها أن كيبروس يبتسم متعاليا، بينما قال بول:

* ما أحسبك ستبتين الفوضى في مدخل دارنا أو في شرفتنا بأكداس من هذه الأشياء؟

* تبت الفوضى؟

وأودعت القطعتين جيبيها، وأمسكت بيد بول - فقد همس لها كيبروس بأن ثمة تعابين في المكان - وهي تتساءل كيف أبت الفوضى بقطعتين صغيرتين من الفخار؟

* إذا كنت مشغوفة بهذه البقايا القديمة من الفخار، فأوقني بأنك لن نقعي بقطعتين، فان قبرص تفيض بمثل هذه الأشياء تجدونها في كل مكان، كما قيل لي *.

وما لبثا أن بلغا السيارة، فانطلقت بهما دون توقف، اذ اكفهرت المساء منذرة بالمطر.

وقال بول:

* أن برودة الجو لا تدعو للجلوس في الشرفة * فدخلوا البهو * وهي تقول:

* أذن سأقرأ لك، ماذا تحب أن أقرأ؟

فقال وهو يستقر في مقعد:

* أقرأ لي الصحيفة الانكليزية أولا *.

ثم أردف:

* اتسمحين بأن تأتيني بزجاجة ماء؟

وذهبت الى المطبخ، كان تاكي قد ذهب ليزور امه المسنة في القرية، ولينقل اليها بعض الخضرات التي كان بول يصر على أن يحملها اليها ثلاث مرات في الأسبوع وقالت تيسا وهي تعود بالزجاجة:

* سأضعها في المكان المعهود *.

فكلما اراد الشراب كان الماء يوضع على الركن الايمن من منضدة صغيرة، أو أية منضدة تكون قريبة. ولكن بول مد يده فجأة وتيسا تسعى لوضع الزجاج، فاذا بها تميل، فينسكب الماء على ثيابه.

وصاح غاضباً:

"يا لك من رعناء! اثنتي بمنشفة!"

ولم تقو تيسا على الحركة، فوقفتم تحملق فيهما وعيناها الجميلتان تفيضان بعدم التصديق. ما جد يده هكذا الى الزجاجة من قبل. كان ينتظر دائما حتى يطمئن الى ان من يضعها قد ابتعد عنها، وما وجه اليها يوما كلمة واحدة حادة. هل بدأ؟ ولمعت عيناها اذ تذكرت الشعور العابر الذي خالجهما، عندما كان يحدثها عن السيارة. كان في صوته حدة وتساءل:

"أين أنت؟ هل أحضرت المنشفة؟"

"كلا سأحضرها حالا."

وخرجت للعود بعد ثوان فقالت:

"دعني أجفف الماء" لكنه أخذ المنشفة منها فقالت:

"الماء على سترتك يا بول."

قال وقد هدأ صوته وتلاشت رنة الغضب:

"لا تحفلي يا لوسيندا... بوسعي أن أجففه! كنت أجيد التصرف قبل مجيئك، كما تعرفين."

وقرأت له، ثم أعدت العشاء. وأخذ يتحدث بحنانه المعهود، وفي الليل، وهي تستلقي مسهدة، التفت ذراعه حولها في وجد وقال:

"ماذا بك يا عزيزتي؟"

فارتجفت وقالت:

"لاشيء يا بول ضمنني اليك بقوة ضمنني بشدة، دائما!"

٤ - الريد ليس سعيداً

كانت العيون ترافق مشية تيسا وتتفحصها لكنها تعودت هذا، فاكتفت بتوجيه ابتسامة الى الرجال المتسكعين خارج المقهى على الطريقة القبرصية. كانت قد أقبلت ماشية لتلقى أية رسائل لها في المقهى. ولم تكن ثمة رسائل. وعجبت تيسا لخيبة الأمل التي اعترتها. كانت الرسائل المقبلة من الوطن هامة، ولكنها لم تكن بمثابة حياة لها، فقد تركزت دنياها بأسرها على زوجها! وصادفها - وهي تغادر المقهى - كريستوس وهو شيخ مفعم بالنشاط، اعتاد استغلال كل فرصة للتحدث اليها بلغة انكليزية ممتازة وسألها ان كانت عائدة الى دارها، فقالت:

"خطر لي أن أزور ما رولا وسبيروس في طريقي."

"لقد ذهب مستر سبيروس الى كيرينيا. أنني ماض في طريقك، فلنمش معا."

سألته في فضول:

"أين تعلمت الانكليزية؟"

فقال:

"كنت في الشرطة منذ سنين، وقال المشرف علينا ان من يخفق في تعلم الانكليزية يطرد."

وانتفت اليها ضاحكا ، وقال :

* وكريستوس عاقل ، يسمع الكلمة ، والمهدد بالفقر ، يغالب كل الصعاب .*

وجذبها جانبا في الدرب الضيق مفسحا الطريق لحافلة عابرة وسألته :

* ماذا تفعل الآن يا كريستوس ؟*

قال :

* أنني امتلك بساتين ليمون كثيرة والليمون يدر مالا وفيرا .*

وافترقا عند بيته ، وواصلت هي طريقها ، مارة بالبيوت العتيقة التي لوحت الشمس ابوابها وجدرانها ، والزهور كانت طالعة فيها وبينها ، أحيانا في أصص من الفخار وكثيرا في أوعية معدنية ودلاء قديمة صدئة . وكانت الحدائق تتوهج بالألوان تحت أشعة الشمس ، وقد انتشرت في جنباتها مختلفات كافة أنواع المركبات والأشياء المعدنية المفككة والمهملة وتنبت بينها الدجاجات والديوك الرومية والماعز ، بحثا عن القوت .*

واستقبلتها مارولا متهللة الوجه ، وذراعاها متقلتان بثمار الخرشوف ، وهمتفت :

* مدام لوسيندا ، هل كنت تتريضين فمضيت الى قرية بيلابيس ؟* فأجابت :

* ذهبت الى المقهى أسأل عن الرسائل .*

فصاحت مارولا :

* اليوم تلقيت رسالة من ابني . انه يريد نقودا . دائما تتطلب لندن نقودا كثيرة . . . اما قبرص فانها رخيصة اليس كذلك ؟*

فأجابت :

* بعض الأشياء رخيصة ، ولكن أشياء كثيرة هنا أبهظ ثمنها كما في انكلترا .*

وجلست تيسا تحملق في المرتفعات غير المنتظمة

وهي شاردة الذهن ، وقالت أخيرا :

* هناك سحب فوق الجبال اليوم ، اتظنين المطر سينهمر ؟*

قالت مارولا :

* كلا فالمطر هذا العام قليل .*

قدمت مارولا الى تيسا قدحا من شراب البرتقال ، وتناولت لنفسها قدحا ، فرفعتة قائلة :

* لنشرب نخبك ، حياة طويلة وهانئة انك موفقة الحظ فالفتاة الانكليزية لايتحتم أن تملك منزلا ، اما القبرصية فلا بد لها من البيت .*

وقطبت تيسا متسائلة :

* أتعنين على سبيل المهر ؟ ألا يقع الشبان هنا في الحب ؟*

وهزت مارولا رأسها قائلة :

* ولكن لا بد أن تمتلك الفتاة بيتا .*

* هل اضطرت لأن تقدمي لسبيروس بيتا ؟*

* لا يشترط التقديم . يكفي أن تمتلك الفتاة بيتا . وقد كان لي بيت في القرية ، فتزوجني سبيروس ، ثم بعث البيت واشترينا الفندق .*

وسألتها تيسا :

* ولكنكما سعيدان . . . كان خليقا بأن يتزوجك ولو لم تمتلكي منزلا .*

فقالت :

* سبيروس ؟ كلا يا سيدتي . لو لم يكن لمارولا بيت لتزوج سبيروس فتاة أخرى .*

وأحتست تيسا الشراب ، وهي تتذكر ما كان مارتن يقول عن القبارصة :

* الزواج في القرية عادة تصحبه ضجة وكثير من الطقوس المرحية ، ولكن الرجل بعد عام واحد لا تجدينه الا في المقهى ، بينما تلزم المرأة البيت . القبارصة الموسرون والمتعلمون فقط

هم الذين يخرجون بصحبة زوجاتهم *

قالت مارولا:

* في قرية بعيدة رجل رزق سبع بنات • لم تتزوج واحدة منهن،
لأنه لا يملك شراء بيوت لهن! *

كان بول في الحديقة مستلقيا بكامل طوله على سرير •
وتوقفت تيسا على مسافة، ترقبه موجسة ومشفقة، لأول مرة
رأته يونانيا قحا، بكبرياء وقسوة اسلافه أولئك المحاربين
الاشاوس الذين لم يكونوا يكتفون أي مراعاة للحياة • كانوا
يتقبلون الموت بنظرة فلسفية، متطلعين الى مستقبل هانيء
فوق أعالي جبل الأولمب • لقد قال أبوها أن بول اكتسب قشرة
من الحضارة الغربية باقامته الطويلة في انكلترا، لكن ماهي
سماته الموروثة؟ واختلج جفناه واطبقا على عينيه، وارتفعت
يده تحجب عنهما الشمس، وكأن توهمها كان فوق احتمالهما •
وكان مستغرقا في التفكير • وفجأة تغيرت ملامحه، فأحست
باضطراب أعصابها للمحة خاطفة • ترى ماذا كانت تلك الافكار
التي أدت لتشوه تلك القسمات الجميلة، وأدت الى التواء فمه
بشكل قاس، يكاد يكون شيطانيا؟ وأسرعت تخاطبه، فإذا
ابتسامة حنون تبدل قسماته من جديد، قالت

* ما من رسائل يا بول • *

قال:

* ما كنت أتوقع شيئا لنفسى، هل استأت يا حبيبتي؟ *

فجلست على بساط بجانب السرير، وقالت:

* ما أطيب تلقي أخبار الوطن • *

فاستدار نحوها، وقد ارتفع حاجباه، وقال:

* الوطن؟ *

وصححت ما قالته مبتسمة:

* اعني انكلترا • ها هنا وطني • *

وسألها بلهجة غريبة أجفلت لها:

* على الدوام؟ *

وبادرت قائلة:

* طبعا ما أغرب تساؤلك يا بول • *

وخيل اليها أنه متوتر الأعصاب، وهو يسألها:

* لن تتركيني أبدا؟ *

فأسرعت تطمئنه:

* انني أحبك يا بول، ولا أظنك تدرك مدى حبي • كيف يمكن

أن أتركك؟ لا أدري كيف ساورتك فكرة كهذه! *

وشدت على يده بحرارة ورفعتها الى خدها فقال بحنان:

* انني آسف يا حبيبتي • أعلم عن يقين انك لن تتركيني • *

فهمست:

* انك حياتي ولا أتمنى أكثر من أن أكون معك • هنا، الى

الأبدا! *

ظل برهة صامتا، وأصابه تخلل برفق مؤخر رأسها، ثم

سألها ليغير موضوع حديثها:

* هل زرت مارولا؟ *

* أجل • وحدثتني عن الدوطة التي لا بد أن تمتلكها الفتاة هنا،

وقالت أنني موفقة الحظ • *

وارتسمت على شفثيه ابتسامة تعجب وقال:

* ولكنها تعلم أنك لست قبرصية • ما أبعد أن يرتقب قبرصي

بيتا إذ يتزوج بانكليزية! *

قالت:

* لأنه لا يقدم على الزواج الا عن حب طبعا • فلم يعلق بينما

قالت:

* أن لغة مارولا الانكليزية تتحسن كل يوم • انها تجتهد كثيرا

تعلم نفسها بنفسها من الكتب • *

وأطلقت ضحكة قمرية وأردفت:

مكتبة

* ببطء وتمهل ... هكذا شعارها *

* فردد ...

* ببطء وتمهل وكررها باليونانية: سيغا .. سيغا ...

وداخلت صوته نبرة لاقرار لها، فرمقته تيسا بنظرة
خاطفة ..

* * *

وصلت السيارة التي طلبها في اليوم التالي . وكانت لدى
تيسا رخصة قيادة دولية، وقد اضطرت لكذبة بسيطة حين أثار
الموضوع بعد أن طلب السيارة فقالت وقد شحبت وجهها قليلا:
* لقد استخرجت رخصة قبل حضوري إذ خطر لي أنني قد احتاج
اليها ..

وأعقب ذلك صمت غريب، ثم قال بول:

* أكنت متأكدة جدا من أنك ستيقين يا لوسيندا؟ *

* كلا، ما كنت موقنة من أن صفحك قضية مسلمة . أرجوك يا
بول، لا تظن ذلك ..

ولم يتحدثا في الموضوع بعد ذلك، وأن كانت تيسا أحست
بعدم اطمئنان لتقبله ايضاحها . فقد خيل اليها بأن كلماته
تضمنت تلميحا ماكرا . ولكنها استبعدت الأمر إذ عجزت عن
تحديد ذلك التلميح .

قال بول بعد فترة قصيرة من تسلم السيارة:

* سننطلق لتجربتها الى كيرينيا، فحسب وربما على طول
الشاطئ ..

٥٢

وآذ ألقت تيسا السيارة دون عناء شرعت تستطيب القيادة
الى كيرينيا . وعند المنعطفات، كانت تبدو - من أن لآخر -
قمم جبال آسيا الصغرى المكلفة بالثلوج، عبر الامتداد الأزرق
الشناسع للبحر الأبيض المتوسط . وأخذت تيسا تبشر لبول كل
شيء . ولكنه لاذ بصمت غريب، فيما عدا تعليق عابر عن
قيادتها، في البداية .

وعندما بلغا المدينة، قادت تيسا السيارة في دروب منحدره
ومتعرجة، حتى وصلت أخيرا الى المرفأ الصغير الشبيه بحدوة
الحصان . وأوقفت السيارة، وسألت بول في حماس:
* أنتناول بعض المرطبات هنا؟ الموائد والمقاعد منتشرة عند
حافة الماء، هناك كثير من اليخوت الجميلة وقوارب الصيد
الصغيرة ..

وجلسا يحتسيان الشراب، تحت ظلال الحصن الصليبي
الضخم المهيمن على الطرف الشرقي من الميناء .
وسألته:

* أتشم عبير البحر يا بول؟ *

فأوما برأسه، ثم قال:

* حدثيني عن المراكب يا لوسيندا ..

* قوارب الصيد بألوان زاهية بهيجة كذلك اليخوت وصور
أشرعتها تنعكس على صفحة الماء، مكونة أشكالا عجيبة ..
وسكتت إذ أن بول غير مهتم، بالرغم من أنه هو طلب
الوصف، ثم أردفت في قلق:
* هل تود أن ننصرف الآن؟ *

فمد يده الى عصاه التي تركها على المقعد المجاور، ونهض
قائلا:

* نعم .. هذا ما أظنه ..

وكان عشرات القبارصة السمر يجلسون في استرخاء على
المقاعد، فحملقوا في بول وهو يبتعد عن مقعده، ويمد يده
الى تيسا، وغص حلقها ازاء هذا العجز منه، وسألت

٥٣

* ببطء وتمهل ... هكذا شعارها *

* فردد ...

* ببطء وتمهل وكررها باليونانية: سيغا .. سيغا ...

وداخلت صوته نبرة لاقرار لها، فرمقته تيسا بنظرة
خاطفة ..

* * *

وصلت السيارة التي طلبها في اليوم التالي * وكانت لدى
تيسا رخصة قيادة دولية، وقد اضطرت لكذبة بسيطة حين أثار
الموضوع بعد أن طلب السيارة فقالت وقد شحبت وجهها قليلا:
* لقد استخرجت رخصة قبل حضوري إذ خطر لي أنني قد احتاج
اليها *

وأعقب ذلك صمت غريب، ثم قال بول:

* أكنت متأكدة جدا من أنك ستيقين يا لوسيندا؟ *

* كلا، ما كنت موقنة من أن صفحك قضية مسلمة، أرجوك يا
بول، لا تظن ذلك ..

ولم يتحدثا في الموضوع بعد ذلك، وأن كانت تيسا أحست
بعدم اطمئنان لتقبله ايضاحها * فقد خيل اليها بأن كلماته
تضمنت تلميحا ماكرا * ولكنها استبعدت الأمر إذ عجزت عن
تحديد ذلك التلميح *

قال بول بعد فترة قصيرة من تسلم السيارة:

* سننطلق لتجربتها الى كيرينيا، فحسب وربما على طول
الشاطئ ..

٥٢

وآذ ألقت تيسا السيارة دون عناء شرعت تستطيب القيادة
الى كيرينيا * وعند المنعطفات، كانت تبدو - من أن لآخر -
قمم جبال آسيا الصغرى المكلفة بالثلوج، عبر الامتداد الأزرق
الشناسع للبحر الأبيض المتوسط * وأخذت تيسا تبشرح لبول كل
شيء * ولكنه لاذ بصمت غريب، فيما عدا تعليق عابر عن
قيادتها، في البداية *

وعندما بلغا المدينة، قادت تيسا السيارة في دروب منحدره
ومتعرجة، حتى وصلت أخيرا الى المرفأ الصغير الشبيه بحدوة
الحصان * وأوقفت السيارة، وسألت بول في حماس:
* أنتناول بعض المرطبات هنا؟ الموائد والمقاعد منتشرة عند
حافة الماء، هناك كثير من اليخوت الجميلة وقوارب الصيد
الصغيرة *

وجلسا يحتسيان الشراب، تحت ظلال الحصن الصليبي
الضخم المهيمن على الطرف الشرقي من الميناء *
وسألته:

* أتشم عبير البحر يا بول؟ *

فأوما برأسه، ثم قال:

* حدثيني عن المراكب يا لوسيندا *

* قوارب الصيد بألوان زاهية بهيجة كذلك اليخوت وصور
أشرعتها تنعكس على صفحة الماء، مكونة أشكالا عجيبة ...
وسكتت إذ أن بول غير مهتم، بالرغم من أنه هو طلب
الوصف، ثم أردفت في قلق:
* هل تود أن ننصرف الآن؟ *

فمد يده الى عصاه التي تركها على المقعد المجاور، ونهض
قائلا:

* نعم .. هذا ما أظنه *

وكان عشرات القبارصة السمر يجلسون في استرخاء على
المقاعد، فحملقوا في بول وهو يبتعد عن مقعده، ويمد يده
الى تيسا، وغص حلقها ازاء هذا العجز منه، وسألت

نفسها: أترأه يظن الى القبول الذي أثاره؟ اذا كان يظن
فلا بد أنه يعاني مهانة وأسى لا يطاقان، وفجأة، وودت أن
تبتعد به فورا عن العيون والناس.
*سنطلق بالسيارة يا حبيبتى على طول الشاطيء، ونعرج على
الكهف الجميل، حيث سبحنا*
قال:

فكرة ممتازة يا لوسيندا

ولمحت جبينه يقطب، إذ أردف:

سنذهب أولا لشراء نظارة سوداء

وكادت تقف دهشة، ان كثيرا من المكفوفين يرتدون
نظارات سوداء ولكنها ما توقعت ابدا أن يفعل بول ذلك.
واشترى النظارات ووضعها في جيبه، ولكنه ارتداها فور أن
تركا السيارة عند الكهف، وسألت نفسها في قلق ترى أتو علمه
عيناه؟ وتذكرت كيف كان يحجب الشمس عن عينيه حين
وقفت تشاهده بالأمس، وودت أن تسأله، ولكنها أحجمت، فما
تحدثا معا مطلقا عن مصيبتة.

★ ★ ★

وذهبا في مساء يوم الأحد التالي، لحضور احتفال
الفصح في دير بيلابيس. كان الميدان مغطى بالأهالي والسياح
الذين وفدوا من كيرينيا، ومن المقهى انبعثت انغام البزق،
واجتمع حول نار اشتعلت في الميدان عشرات من الشباب
المرحين، وسرعان ما قدم مقعدان لبول وثيسا وقالت تيسا
لبول:

*اللهب مرتفع جدا، يضيء الأطلال ويكسبها تألقا دافئا
جميلا* *وقاطعها في جفاء:

*ألا بد أن ترفعي صوتك؟ لاداعي لأن تخبري الدنيا بأسرها
بأنني لا أبصر* *.

قالت متلعثمة بعد صمت وجيز مشدوه:

انني أسفة ما أنتبهت الى أن صوتي كان مرتفعا *.

كانت تدرك أن صوتها لم يكن يرتفع عن الهمس لأنها - من
البداية - حرصت على الحديث بخفوت، لكي لا تخرج زوجها،
ولم يعقب، فأضافت مترددة:

أن المنظر يبدو جميلا يا بول، فأردت أن أخبرك به *.

*لست معدوم التصور، فأنا أشعر بالنار، ومن الجلي أنني
أعرف أن النيران تضيء الميدان* *.

ولاذت بالصمت بعد ذلك ولكن بول ماليت أن تناول يدها
وكأنه شعر بالجرح العميق الذي أحدثه. فقالت هامسة، وقد
سرى عمله عنها شيئا ما:

*يبدو أن شيئا ما يجري، فان الحوذيين يتحدثون الى
الشرطي، ويلوحون بأيديهم، وكأنهم يحتجون* *.

فقال:

أصبت، فقد توقفت الموسيقى، ولاذ الجميع بالهدوء *.

وبعد الصمت عاد الصخب ثانية، ولكنه خلا - هذه المرة -
من المرح وأبدى الرجل الجالس بجوار بول ملاحظة باليونانية،
فهز بول رأسه، واتصل بينهما الحديث، والتفت بول اليها
وقال:

ان الاحتفال لا يبدأ قبل الساعة الثانية فهتفت:

*الثانية صباحا؟ ولكنك قلت، الكل قالوا انه يبدأ في الحادية
عشرة والنصف* *.

*لم يوافق الاسقف على أن يبدأ في الحادية عشرة والنصف.
قال انه ينبغي الا يبدأ قبل الثانية* *.

وسمع هذا شخص بجانب تيسا ، فقال بالانكليزية:
* انه يبدأ دائما في الحادية عشرة والنصف .*

وقال شخص آخر ساخطا:

* لن انتظر كل هذه المدة .*

وأخذ كل أمرىء يحتج، ولكن عدم وجود قس في المكان جعل الاحتجاج غير مثمر . وسرعان ما انطلقت العربات بركابها المستائنين، واطفئت أنوار المقهى، وسلط الماء على النار، وكان بول يصغي لجاره الذي بدا على علم بما كان يجري:

* لقد قطع شبان القرية الكهرباء عن الكنيسة . وسدوا ثقب مفتاحها بالشمع، حتى اذا وصل القس تعذر عليه الدخول .*

ونقل بول الخبر الى تيسا، وفي صوته عجب، وقال صوت من خلفهما:

* لن يكون هنا أحد، على كل حال، اذا ما وصل .*

وقال شاب يوناني مليح، في ارتياح بالغ:

* ستنشر الصحف كل هذا . . . أند لم يحدث في بيلابيس من قبل .*

قال بول وهو ينهض، اذ بدأ رذاذ الخرطوم المسلط على النار يصل اليهما:

* يحسن أن ننصرف . هيا يا عزيزتي، سنذهب الى مكان آخر .*

وكانت تيسا تعتقد بوجوب العودة الى البيت ولكن بول كان مصرا على حضور الاحتفال، فقادت السيارة الى قرية أخرى على بضعة أميال من كيرينيا . وقال بول وهما يهومان بدخول الكنيسة:

* هل أحضرت شمعتي يا لوسيندا؟*

كانت قد أحضرت شمعتين طويلتين، ناولته احدهما، فقال:

* عندما تدخلين ضعي النقود، وخذي شمعة، اشعليها، ولا تشعلي التي معك، سترين - على أية حال - ما يفعله

كل أمرىء .*

كانت تيسا تدخل كنيسة يونانية لأول مرة وازعجها أن تفتن لنظرات الرجال والنساء، اذ بدا أنها ليست يونانية . وهمست اذ قادت بول الى حلقة الشموع الموقدة لاشعال شمعته:

* هنا الاشعال .*

وتحسس بأصابعه احدى الشموع حتى كادت تبلغ فتيلها، ثم مد شمعته وتبين بأصابعه أنها تجاوزت اللهب . وحاول عدة مرات، فلم يوفق . والتفتت تيسا فاذا عيون كثيرة ترمقه . واستدارت ثانية تنأمله في لوعة وتردد، فقد انذرها هاجس غضبه . ولكن الوقوف ومشاهدة هذا العمل الموجه للقلب كان فوق احتمالها . وانتزعت شمعة موقدة وهي تعيد الشمعة لمكانها:

* انك اشعلتها يا عزيزي، أغرسها لك؟*

وتردد قليلا، ثم اعطاها اياها . وقال:

* ما عليك الا أرشادي الى أين أذهب، ثم اتركيني .*

وتطلعت اليه مشدوهة، وهمست:

* اتركك؟ . . . لا أستطيع أن أتركك .*

وبعد أن قادت له مكان في الصف وقفت ساكنة بجواره، تصغي بعجب اللفظ الأصوات، كأنما كل أمرىء كان يكلم جاره، ولا يحفل بتخفيض صوته . وانبعث فحيح من بول محنقا، فتراجعت غير مصدقة اذنيها:

* قلت اتركيني اذهبي للطرف الآخر من الكنيسة ألا ترين أنه لا ينبغي لك أن تكوني هنا؟*

ونظرت حولها، فاذا كل النساء في طرف من الكنيسة، والرجال في الطرف الآخر . كان كل أمرىء ينظر اليها وهي تقف مع الرجال . ومع أن الدماء تصاعدت حارة الى وجهها، بقيت حائرة مترددة . كيف تتركه؟ ولكنها سمعته يسأل

غاضبا اذا كانت بعد باقية، فتحركت بهدوء الى الجانب الآخر، واحتلت مكانا بين عجوزين متشحتين بالسواد.

* * *

ما عهدت مطلقا هذا القدر من التعاسة والحيرة. كان بوسعها ان تفهم مشاعر بول لأنها رفضت الانتقال من جوارحه، ولكنه كان خليقا بأن يعلم أن قلقها عليه شغلها عن ملاحظة ما كان يجري. وعادت الدموع تتفرق في عينيها، ولكنها بعد قليل حاولت نسيان جرح شعورها والتماس العذر لبول، فلا بد أن الموقف كان بالنسبة اليه أسوأ.

وتمكننت أخيرا من أن ترفع بصرها، فتبينت أنها لم تعد موضع انتباه. وعجبت وهي ترقب الباب: متى يبدأ الاحتفال الديني؟ مازال الناس يتوافدون، يضعون هباتهم ويتناولون شموعهم فيشعلونها ويغرسونها، ثم يتجهون لتقبيل الأواني التي في وسط الكنيسة. كما أحصتها تيسا. ثم يقبلون الأواني المعلقة على الحائط. وكانت الأمهات يرفعن أطفالهن اليها.

استمر هذا نصف الساعة أو أكثر، ثم بدأ الاحتفال أخيرا، بظهور القس وانطلاق الرجال بالانشاد. وما لبثت الأصوات الكهربائية أن أطفئت، وبقيت الشموع وحدها تضيء المكان. واشعل كل امرئ الشمعة التي أحضرها معه، وانساب المنيح نحو الباب. وحاولت تيسا الوصول الى جوار زوجها، ثم فطنت الى أن الرجال كانوا يتقدمون النساء. ماذا

تفعل؟ استولى عليها زعر فظيع، فلم تحفل بأحد وهي تلحق بالرجال. ولكن بول كان قد اختفى، وبحث عنه والذعر يزداد بمرور اللحظات. وانطفأت شمعتها، فأشعلها لها رجل. وصاحت وهي تنظر اليه في عجز: زوجي! فأشار عبر الفضاء الى حيث اتجه بعض الرجال، فشكرته وهي تسرع تدفع الرجال عن طريقها، حتى اقتربت منه ثم توقفت لاتجسر على أن يعرف بوجودها. وكانت شمعتها قد انطفأت ثانية، فأشعلتها من شمعة أخرى. وما فطنت للانشاد وشعرت بأنها لن تحضر ما عاشت احتفالا آخر في كنيسة.

وكان المنيحون يدخلون الكنيسة ثانية. ولم تعد تحتلم، فمست كم زوجها. وهمست:

"بول... أنني أشعر بغثيان، أستطيع... أتمانع في أن نذهب الى البيت؟"
قال:

"ماذا بك؟"

قالت:

"أنني أشعر..."

وجزعت إذ شرعت تبكي، وقالت:

"أريد أن أذهب الى البيت..."

وكانت موافقته مفاجأة ادهشتها، لكنها بادرت الى الأخذ بيده، وبعد دقيقتين كانا في السيارة.

وسألها بقلق، وهي تقود السيارة بتؤدة بحذاء الشاطيء، متجهة الى كيرينيا:

"ماذا بك يا عزيزتي؟ أنت بخير... اعني وأنت تقودين السيارة؟"

فقالت:

"نعم... أنني الآن بخير..."

ولزما الضمت بعد ذلك، والسيارة تمضي في هواء

الليل الدافئ، والبحر القاتم الى يسارهما، وجبال كيرينيا
غير المنتظمة الى يمينهما. وما أن دخلا بيتهما حتى التفتت
الى بول قائلة:

* انني أسفة لما حدث... ما كنت أعرف أنه لا بد لي من أن
أكون في الجانب الاخر.*

فأحاطها بذراعيه، والصقت وجهها بسترته، وهو يقول:

* طبعاً يا عزيزتي... أنا كنت نافذ الصبر... كان ينبغي أن
أفهم... ورفع وجهها بحنان. قائلاً:

* انسي ما جرى يا لوسيندا... ليس بالامر الهام...*

ليس بابا! ما أقل ما يعرف! كل كلمة حادة - وقد استخدم
الكلمات الحادة في مناسبات كثيرة، في الفترة الأخيرة -
كانت كنصل في قلبها. أمن الممكن للمرء أن يحب بهذه
الدرجة، فيحتمل آلام الجراح؟ وأخذت ترتجف فأخذ يواسيها.
قالت:

* انني لا أقوى على الاحتفال حين تغضب يا بول ما أقطع
الألم!*

ربتها يداها، لكن شيئاً مبهما شاب لمساته فأحست تيسا
برغبة غير عادية في أن تفلت منه وقال:

* ما أقطع الألم؟ لا بد أنك تحبينني حبا بالغا جدا...*

قالت:

* أنك لتعلم هذا...*

فقال:

* كل هذا الحب العميق ومع ذلك... وأمسك فجأة.

ما الذي كان يهم بقوله؟ أكان يتذكر كيف تعرض للنبتة،
وكيف لأمرأة فعلت ذلك باستهجان أن تعود لتحبه بهذا القدر؟
ولكنه ما كان يعلم أن التي نبذته والتي تزوجته مختلفتان.
وهمس:

* أنك تخدعيني يا لوسيندا الحبيبة!*

وكاد قلبها يتوقف، وقد تغضن جبينه في حيرة. وقالت:

* لست أدري ما تعني؟*

* كل هذا التغيير العظيم! ولكن لا داعي لاستثارة الماضي، فلن
نكسب شيئاً من ذلك...*

وحدقت فيه، والحيرة تغيم على عينيها. كانت اشارته
الماكرة الى الماضي مقصودة وقد شعرت باقتناع بذلك، ومع
ذلك فهو يقول انه لا ينبغي اثاره الماضي، وهمست في قنوط:
* لا تدع شيئاً يفسد علينا حياتنا يا بول! لا تتغير يا حبيبي،
أرجوك لا تتغير...*

قال واصبعه يتحسس دمعة على خدها:

* لن أتغير طبعاً يا حبيبتى لوسيندا، انك تبالغين في تفسير
كل شيء...*

ومس بأصبعه فحها، وشعر بارتجافة فقال بجد:

* ابتساماً! ابتساماً على هاتين الشفتين الجميلتين. وومضة
في العينين بسرعة... أريد أن أتأكد من وجودهما...*

انفجرت شفتاها، ولكن عينيها ظللتا آسيتين كان ثمة
تغيير، تغيير طفيف جداً، لا يكاد يكون ملحوظاً، يطرأ على
زواجهما!

* * *

شاطيء فاروث من أجمل شطآن الجزيرة. وكان شبه خال
اذ لم تكن الساعة قد تجاوزت الساعة صباحاً، وقد خرجت
تيسا وبول للسباحة. كانا قد قضيا يومين حالمين في فندق
الملك جورج يشغلان وقتهما بالسباحة، أو زيارة المعالم

أو التريض في تكاسل . وقالت تيسا وهما يغادران الماء ويجلسان على منشفة بسطتها تيسا بينما قدمت لبول غيرها :
"الرمال ذهبية حقاً . وأخذ يجفف جسمه . ولاحظت تيسا أنه الصق المنشفة بوجهه فترة أطول مما ينبغي ولاج كأنه يضغط عينيه بأصابعه ، كما لو كانتا تؤلمانه .

وبعد الافطار زارا المدينة للمرة الثانية . كانا في المرة الاولى قد استقلا سيارة أجرة ، ليكون السائق مرشداً أما هذه المرة فقادت تيسا سيارتهما ودخلا المدينة من بوابة البر . وقالت وقلبها صاف كالسماء خفيف كالهواء :

"اننا نعبر الآن الجسر فوق الخندق المائي . في ناحيتك مدخل الحصن يا حبيبي ، ولد قوس جميل . . وهناك الابراج المحصنة التي حدثنا عنها سائق التاكسي . أتوقف لتناول القهوة ، اذا صادفنا أحد مقاهي الأرصفة؟"
قال :

"نعم يا لوسيندا ، يجب أن نتناول القهوة ."

وجلسا في الميدان ، وتيسا تحدثه عن عمارة الكاتدرائية والقصر الفينيسي . ثم جنح ذهنها لقصة رواها سائق التاكسي عن شجاعة المحارب الفينيسي براغادينو ، الذي كان قائداً فاماغوستا أثناء حصار ضربه الاتراك تسعه أشهر . وهتفت :

"انني ارتجف اذ اتصور كيف سلخوه حياً ؟"
فقال بلهجة غريبة :

"أحسب أن هناك ألوانا من العذاب لا تقل بشاعة ، ما أعرب ما يخطر على ذهن الانسان !"

ولمحت وجهه يجمد ويقسو ، وفمه يلتوي بشكل بشع ، سادي يوحى بالرغبة في التعذيب . لابد أنه كان يفكر في طريقة جهنمية لتعذيب نفسه . سرت في جسمها قشعريرة ، وأسرعت تسأله :

"هل ننصرف؟"

وعاودها الدفاء في ابتسامته ، وهو يقول :
"الأمر لقائد السيارة ."

قالت :

"سنذهب الى برج عطيل ، حيث أعدمت ديدمونة البريئة بقسوة وحشية وظلم ."

وتجاهل بول نبذة المزاح في صوتها وتمتم وكأن الكلمات غير موجهة لأذني زوجته :

"بريئة ترى أين يعثر المرء على امرأة بريئة؟ وافلتت من شفتيه ضحكة واهنة وقال :

"أي عقاب يحيق بأمرأة لا ينطوي على ظلم عادة ."

ومحت كلماته الابتسامة عن شفتيها ، وغاض السرور من قلبها . ما هذا التلميح الماكر؟ وأحست بأنه ينطبق عليها لقد قضينا يومين هائئيين ، فما هذا التغير العجيب الذي لا تفسير له؟ وزايلها الحماس ، فأخذت تتكلم بلهجة باردة وهي تصف البرج والجدران والكنائس . وقالت لتختصر الجولة إذ لم يتكلم منذ بارحا الميدان :

"لعلك تود العودة للفندق؟"

بمجرد وصولهما الى الفندق بدلا ثيابهما ، وتناولوا شرايا في الشرفة ، ثم ذهبا الى الشاطيء . وما أن جلسا حتى قال بول أنه نسي النظارة الواقية من الشمس . وأسرعت لغورها تحضرها ، وذهنها يموج في اضطراب . ما الذي طرأ على عينيه فأصبح يعاني منهما؟ وهمت بأن تسأله - عندما أحضرت النظارة - ولكنها عدلت إذ أحست بتذير خطر ، وكأنها على شفير هاوية وأي ذكر للماضي قد يؤدي لتكبة .

وإذ عمدا الى الفندق ليبدلا ثيابهما استعدادا لتناول الشاي ، ضمها بول اليه متسائلا اذا كانت تستمتع بأجارتها . . . فأجابت ولكن بغير الصدق الخالص :

"كل الاستمتاع . وأنت يا بول؟"

ودون أن يجهلها لتفكر، جذبها اليه، فاستجابت له، وان
راح يخز قلبها ألم رهيباً

★ ★ ★

كان العشاء - في مساء ذلك اليوم - بهيجا إذ أن زوجين
من الانكليز، كانا قد تجاذبا الحديث مع بول وتيسا - في عدة
مناسبات - يتأهبان للرحيل الى انكلترا في اليوم التالي،
فاقترحا أن يقضي أربعتهن الأمسية معا . وما أن انتهى
العشاء حتى انتقلوا الى المشرب . وكان بول في أفطن حالات
المزاج، وقد بدا برونزي السمرة، بالغ الاعتداد بزوجته، يسبغ
عليها اعتزازة، حتى لقد بدا الآخران مبهورين بما كان يصفيه
عليها .

وما لبث الآخران أن صعدا الى غرفتهما ، فقال بول:

* أنخرج لتنسم الهواء العليل؟ *

* وما أن خرجا، حتى سمعت تيسا نداء فالتفتت في دهشة،
لتبين من كان ينادي ثم هتفت:

* مارتن! ما الطف أن أراك . *

وحياها ثم التفت الى بول ولاحظ أنها تمسك بيده . وقال:

* أتتذكرين أنني وعدتك بأن أريك المعالم؟ *

* أعرفك بزوجي بول، يا مارتن . هذا مارتن يا بول . أظني
ذكرت لك التقائي به في السفينة وأنا قادمة . *

وبسط بول يده، في حركة متحفظة، مترددة . ولكن صوته
بدا لطيفا وهو يتحدث لحظة أو اثنتين مع الشاب . وأخيرا قال
مارتن:

فأجاب:

* ماذا يشتهي الرجل أكثر من زوجة جميلة محبة، وشمس
مشرقة، وبحر دافيء يسبح فيه؟ *

كانت كلماته تنطوي على مراوغة بثت الخوف في قلبها .

وعادت تقول:

* لم تجب عن سؤالي، *

فقال ويدها تتحسسان كتفيها وظهرها:

* استمنعت بها! ما لو ن البكيني الذي ترتدينه؟ * أنه ليس

الذي اعتدت ارتدائه . *

فقالت:

* هذا أسود وقرنفلي وعقب قائلا: وقصير جدا . ولكنك كنت

متعودة ارتداء ثياب السياحة القصيرة يا لوسيندا وصمت قليلا

ثم قال:

* ما أسرع وجيب قلبك! *

وتدافع الدم الى وجهها، وكأنما شعر بول به إذ لمس خدها:

* أتستحين؟ هذا شيء جديد أعلمه عنك يا لوسيندا . فما كنت

أظنك تخجلين، لاسيما وقد تزوجت لأكثر من ثلاثة أسابيع . *

وشعرت بعياء لا لأن بول كان يسخر منها فحسب، بل لأن

نبرة ازدياء شابت صوته . وعاد يتساءل في شيء من التفكه:

* لم تخبريني عن سبب تسارع دقات قلبك . أهو الانفصال؟ أو

هل يكون الخوف؟ *

وانتظر جوابها دون مرح، فقالت وهي ترتجف:

* بول لست أفهك في مزاحك هذا فما الذي يدور بذهنك من

أفكار؟ *

* أفكاري؟ انني احتفظ بها سرا يا لوسيندا . كل تصرفاتي

معروفة لك، لأنني بحاجة الى مساعدتك . أما أفكاري فهي

ملكي وحدي! *

أرى ان علي ان أنصرف لقد فاجأتني حقا اذ قدمتنى الى
 زوجك، فما خطر لي أنك جئت لتتزوجي*
 وضحك، ثم حياهما منصرفا الى سيارته*
 وتغير مسلك بول بمجرد أن احتواتهما غرفتهما بعد مدة*
 وكان صوته باردا، جارحا، وقد شد فكه في خشونة:
 أذن كنت قد دبرت معه أن يريك المعالم؟
 فبادرت قائلة:

كلا *هكذا قال هو* *وكما ترى لو لم تكن قد أردتني*
 فقاطعتها مكملا:

كنت تعتزمين أن تتزوجي من غيري؟
 وهمست في توجس:

أنك تخيفني *ما الذي يجري لزواجنا يا بول؟*
 وتقدمت منه ووضعت يديها على صدره وقالت:

لقد وعدتني بأنك لن تتغير
 فقال بايجاز:

كل الناس تتغير
 وحملت فيه حائرة، كأنها تود أن تقرأ أفكاره، وقالت:

لكن، لم ينقض شهر على زواجنا، وأنا أحبك
 قال في تهلل:

*تحبينني! أجل أنك تحبينني، وستظلين دوما تحبينني!
 تعالي فأريني مدى حبك!*

واحتواها بين ذراعيه، بعنف، دون ما احترام، وهو يواصل
 الكلام:

*أريني مداه، يا لوسيندا الغالية، يا زوجتي الجميلة التي لا
 أستطيع أن أراها*
 11

5 - الانفجار المخيف

بطيئا* *بطيئا* اظلت الكلمتان تترددان في ذهن تيسا ولكن
 لماذا؟ وتناهى اليها صوت زوجها خافتا، ناعما:
 ماذا تفعلين يا عزيزتي؟

القت بصرها فوق السياج الحديدي للشرقة، الى الحديقة
 المزركشة بالزهور* كان بول يجلس في مقعد مريح من القصب
 والراديو على منضدة قريبة منه* وكان منخفض الصوت حتى
 أن موسيقى البزق كادت لا تبلغ اذني تيسا، ولم تجب زوجها
 فوراً* ولاحظت مبهورة أنها للمرة الاولى التي لا تبادر فيها
 الى اجابته، بل ردت طرفها الى المنظر الثاني للبحر الشاسع،
 الصافي تتخلل ألوانه، قنوات من زجاج متعرج تعكس
 التيارات التي تحت السطح* وعلى بعد أكبر كانت اللمعة
 الفضية تنبسط نحو الخط الذي يغيب فيه البحر في الافق* ثم
 ارتد بصر تيسا الى الرجل* ومرة أخرى رآته يونانيا خالصا،
 عنيفا وشجاعا، كان شجاعا قطعاً اذ حاول بعد نجاته من النار
 دون اذى ان يكافح اللهب لمحاولة انقاذ محبوبته* أي رجل
 هذا الذي تزوجته ووهبته قلبها من أول نظرة الى عينيه؟
 وتقبلت في مرارة أنه ليس كما كانت تعتقد*
 وواتها صوته مرة أخرى، صبورا محبا لطيفا* ما الذي

كان يحاول فعله بها؟ لعبة القط والفأر، يرفعها الى الذرى ثم يهوي بها الى الاعماق وقالت وهي تهبط درج الشرفة الابيض:
"ها آنذا قادمة يا بول، أتريد شيئاً؟"

قال:

"أنت يا حبيبتي الحلوة!"

ومد يده في الخاج أمر، وهو يقول:

"ما هذا يا غرامي؟ تعالي."

وانصاعت فجذبها وأجلسها على ركبتيه قائلاً:

"كل يوم أتعرف الى شيء جديد عنك يا حبيبتي لوسيندا،

اكتشفت توا أنك زوجة متقلبة المزاج."

فمالت نحوه وألصقت خدها بخده، واختلجت اجفانها

لتحبس الدموع التي تدافعت وقالت:

"لست متقلبة المزاج يا بول، وانما أنا خائفة جدا فقط."

وأرتفع حاجباه قليلا ولكنه ظل على جموده، وقال:

"خائفة؟ ما الذي يخيفك؟"

هزت رأسها في عياء. لم يكن في مزاج يجعله يصغي

لمخاوفها. وقالت بعد وهلة، وهي تحاول أن تكون لهجتها

أخف وأكثر اشراقا:

"لا تحفل. أنني اليوم متعبة قليلا."

قال:

"لعل صحتك ليست جيدة، لأنك لست كعهدي بك منذ عدة

أيام."

واعتدلت تتفرس في ملامحة السمراء. لا يد أنه أدرك سبب

هذا التغيير، ولا يد أنه أدرك تغير سلوكه نحوها. ولكن ظاهره

كان يتم عن أنه... يجهل أنه فعل ما يؤلحها. وازدادت

التصاقا به، فتشد ذراعيه حولها في وجد.

"اننا لن نتغير يا بول... عدني بأننا لن نتغير."

"ماذا هناك يا حبيبتي؟ ألسنت سعيدة؟"

"في الاسبوع الماضي، كنت غاضبا بصدد مارتن، دون ما داع، ومن ذلك الحين أنت فاتر."

واتطلقت منه ضحكة احتجاج، وهو يتساءل:

"أنا الآن فاتر؟ أعترف أنني شعرت بغيرة من ذلك الرجل،

ولكنني سرعان ما غلبت الغيرة."

كانت لهجته مواسية، وهو يواصل:

"ولقد كان بيتنا انسجام رائع، ولا بد أنك توافقين على هذا.

وأقرت بذلك. وأخذ بعد ذلك يعاملها بحنان ناعم، ورفعها

فيما بعد الى اعالي العاطفة. ولكنه أثناء عودتهما الى البيت

بعد يومين عاملها بأقصى فورات الغضب حين اضطرت لأيقاف

السيارة فجأة لتتفادى طفلا في الطريق مما زاد أعصابها

اضطرابا وهوى بها الى حضيض أكثر عمقا.

"تمالكي نفسك! أمل ألا نقطع المسافة الى البيت بسرعة

خمسة أميال في الساعة."

"أنني ارتعد يا بول. انك لا تدرك أنني تفاديت الطفل بمجرد

بوصات!"

"ولقد تفاديته، فلماذا الضجة؟ اذا كنت لا تتحكمين في

أعصابك، فيحسن أن تتخلي عن القيادة."

وأزاء حدته ارتكبت تيسا أشنع خطأ، اذ قالت

"انك لم تر ما حدث. لقد برز الطفل من وراء عربة."

وساد صمت رهيب وزادت تيسا من السرعة وما لبث أن قال:

"أصبت يا لوسيندا... لم أر ما حدث! ولم يزد ولكن هذه

الكلمات ونبرته، خلفا أعرق أثر في نفسها. هل كان يحاول

جرح شعورها متعمدا؟ اذا صح هذا فهو لم يعد يحبها. وظلت

طيلة الطريق تعاني أوجاع سياط كلماته. وفي تلك الليلة أوى

بول الى المخدع الذي كان يشغله قبل زواجهما.

ولكنه في اليوم التالي بدا مغفما بالندم مفرطا في الحب

والحنان، فسرعان ما استجابت له.

* اما عن فتوري .. فقد بدأت أراك جامحة الخيال يا لوسيندا *

* ألا تعترف بأنك فاتر؟ قل لي يا بول هل أنت سعيد بقدر ما كنت في البداية؟ *
وسألها:

* ماذا تعنين .. بالبداية؟ *

مرة أخرى يشير الى الماضي، ما أمكره! وقالت:

* خلال الاسبوعين أو الثلاثة الأولى من زواجنا؟ *
فهز كتفه قائلاً:

* شهر العسل لايمتد طويلة الحياة يا عزيزتي .. أن خيالك يجمع ثانية؟ نحن في السعادة نفسها ولكننا أخذنا الى رتبة الحياة، دعي السخافة وهاتي الصحف، فلست أشتهي أكثر من الاستلقاء في مقعدي والاصفاء لصوتك العذب الجميل .. *

واستجابت تيسا ولكن ألما أصبح يسكن قلبها، فما عادت تظمنن الى أن تقلب زوجها عائد الى مصيبتة لم تكن تعرف الكثير عن طبيعته عندما تزوجا، ولكنها أصبحت تعلم أن له نوبات تراوح بين نفاذ الصبر والغضب الجامح، أو عدم الاكتراث الى أقوى وأعرق انفعالات الحب .. أو ما كان يبدو أنه حب! وساءلت نفسها: أترأه كان حقا يحبها، أو يحب لوسيندا، كما كانت تزعم؟ وواصلت القراءة وأن لم تستوعب - للمرة الأولى - ما كانت تقرأ، إذ ارتدت أفكارها تسترجع أحداث حياتها في الاسبوع القلائل الاخيرة، كان تغير بول غير ملحوظ في البداية، يثير التوجس ولكنه ما كان يثير الالام قطعا. ولكن تحولا مبهما أخذ يعترى طباعه تدريجيا، واتسعت حدقاتها حين خطر لها شيء أوضح لها ما كتبه أبوها إذ علم بانتحالها شخصية اختها وزواجها من بول، لقد خشي أبوها من تسلل خيط القسوة الذي لا يلبث ان يجعل بول منتقما لايعرف الرحمة .. عقابا للوسيندا *

وتوقفت تيسا عن القراءة إذ امتلأ قلبها بالفزع. كانت تأمل حين تزوجت بول أن تسرق ما كان يكره من حب لأختها ولكن في مقابل أن تمنحه كل ما يمكن أن يجود به قلبها. فلو افترض - مجرد افتراض - أن حبه للوسيندا كان قد مات نتيجة مسلكها الشنيع، لكان محتملا أن زواجه كان بغية الانتقام .. وارتجفت الصحيفة بين أصابعها، وهبت نسمة فانترعت ورقة منها حملتها الى الجانب الآخر للحديقة، وتيسا ساهمة في أفكارها .. إذا كان العقاب غايته، والتعذيب طريقته، فالى أية هوة سوداء هي ذاهبة؟
ورفع بول رأسه متسائلا:

* هل تعبت يا حبيبتي؟ لنسترح ونتناول القهوة .. *

وودت أن تصارحة بوساوسها، ولكنها لم تجد كلمات تسعفها، فدخلت البيت لتعد القهوة .. وعندما عادت تحملها كان بول مستلقيا في مقعده، وبدا أنه لم يشعر بها، فخاطبته بصوت خافت تنبئه بأن قدح القهوة الى جواره، وقد أذابت فيه السكر، فتولاه عبوس سريع وقال:

* لم أكن أريد سكرًا إلا بد من اصرارك على أن تعامليني كطفل وليد؟ *

وأسرعت الى البيت وعادت بقدح آخر من القهوة، وقالت:

* هاهي ذي، في ركن المنضدة يا بول! *

كانت شفتاه بعد متطابقتين ولاحظت تيسا أن أصابعه كانت متوترة - حين أخذ يتلمس القدح - وفي جانب من عنقه عضلة تنبض وقال وهو يرفع القدح لشفتيه:
* أين أنت؟ *

وأردف وهو يعيد القدح، ثم يبسط يده بالحركة المألوفة، التي كانت تلقي استجابة ملهوفة من تيسا:

* لماذا لا تقتربين مني؟ أسف يا حبيبتي .. هل كنت حادا؟ *

فأجابت ووجهها شاحب:

* لا عليك يا بول *

فقال:

* انك غير سعيدة يا غرامي * تعالي، وقولي انك سامحتني *

وسحبت يدها، وقالت بصوت هادي، ولكنه حازم:

* هل أنت سعيد يا بول؟ *

* انني في قمة السعادة! أنت أملك زوجة متيمة بي أكثر مما

يطمع في ذلك أي رجل؟ *

* * *

ونسيت دورها كلوسيندا، فهي تيسا، وبول هو الزوج الذي أحبته، ففعلت:

* انني بالغة العناية بك، أريد أن أعوض كل شيء * عندما

تزوجتك كنت مدفوعة بحبي لك * فقد كنت دائما أحبك منذ

أن التقينا * وكنت أهدى أن تسعد معا * على الدوام *

فقال وكأنه يحدث نفسه:

* أردت أن تعوضيني كل شيء وأردف وكأنه توصل لقرار

ولكنك تعوضيني فعلا يا لوسيندا فان حبك الذي تقولين

انك تكنينه منذ البداية، هو كل ما أحتاج * أريد أن تحبيني

الى الابد، وأن أعرف انك لن تتحولي! *

* * *

حدقت فيه بحيرة وخوف، وقالت:

* لست أفهمك يا بول، كان كل شيء رائعا * أما الآن ما الذي

يجري يا حبيبي؟ * لست أنا التي تتحول، بل أنت! *

فتساءل متجاهلا كلماته الاخيرة:

* انك تستسلمين للوهم ماذا بك * ولم تجب اذ أحسست

بعودة التوتر اليه، وكرر سؤاله في الحاج حازم، فلم تجد
منفذا للمراوغة، وقالت والارتباك لا يجعلها تعرف ما تقول:

* من العسير أن أوضح * عندما كتب لي أبي ذكر * * أمسكت

وهي ترتحف، فاستحثها برفق، وهو يضع قدحه جانبا:

* ماذا قال أبوك يا لوسيندا؟ أما كنت تقرئين لي كل

الرسائل؟ *

وقررت أن تكشف هواجسها * في الخطاب الأول كتب أبي

مبديا دهشته لانك صفحت عني سريعا *

والتفت اليها يستزيدها، فقالت وقد اعترفت أن تصل الي

الحقيقة:

* لقد شعر انك راغب في الانتقام! هل تبغي الانتقام يا

بول *

وتسارعت دقات قلبها بدرجة ألمتها، لكنها ظلت مسيطرة:

* كنت حائرة ازاء التغيير الذي ألم بك، كنت في البداية

تحبني، بدا انك تحبني ثم أخذت تتغير تدريجيا، أسعدتني

ثم اتعستني ما هكذا تعامل الزوجة! *

قال وفي صوته نبرة خافتة، كانت أول اشارة الى أنه يكبح

انفعالا قويا:

* هل لديك شكوى من حياتك؟ ما أظنك أصبحت غير راضية

فعلا، وزواجنا عمره أسابيع؟ *

قالت في تحفظ:

* هذا ما كنت أحاول أن أقول، لقد تبدلنا في وقت قصير * ما

كنت أتوقع * * *

وسقط القناع، انطلق ما كان يكتم، فاكفهر وجهه الأسود

وبدا كأنسان وحش، بدائي، لا يرحم * وقال:

* ماذا كنت تتوقعين؟ أن تجدي عاشقا مدلها متلهفا، راغبا

في استعادتك، معترفا في ذل بفضلك لقاء ما تقدمين؟ *

وأمسك والكراهية السوداء تلوي شفثيه، ثم أردف:

*يا لرأيك في نفسك! كنت أرجىء الصفة الختامية بعض الوقت، لكن ما دمت أثرت الموضوع فهناك الحقيقة... إنما تزوجتك لغرض الانتقام فحسب. فهنتني أباك ببعد نظره الذي اعتدت أن احترمه!

كانت تيسا قد أدركت ذلك ومع ذلك غشيها سقام بدني وقالت ويدها تتلويان:

*ما أحسبك أحببتي قط! أكان تظاهرا منذ البداية؟... وتذكرت الأمل الذي خالجها لمبادرته بالصفح واعتزامها الوطيد أن تسعده، وعرفانها ورضاها بأن تقضي عمرها بجوار الرجل الذي أحبته... وقال بول:

*أجل، ما أحببتك منذ اليوم الذي نبذتني فيه... أعرف ما ستقولين، أنتي وعدت بأن أغفر لك، وإن بوسعك العودة الي إذا شئت... ولكن لو لم تكوني شديدة الاعتداد مترعة بالثقة بنفسك، لحدست أنني كنت أنوي الثأر... والتوت شفاته في استهجان، وقال:

*أنني اشعز من غرورك... لقد تجاسرت على المجيء لتعلمني بهدوء ندمك، متوقعة الصفع على الفور، أية امرأة أنت، حتى تنقي بصفحي كقضية مسلم بها؟ حتى تتوقعيه كحق لك؟ أكرر أن غرورك يمرضني ولا أدري كيف كان يحتمل أن أوليك نظرة ثانية!

كانت تيسا تنتفض من رأسها لأخمص قدميها، محتملة كل ما كان يقصد به لوسيندا، عاجزة عن الذود عن نفسها... وبعد صمت طويل تكلمت وفي صوتها نداء قانط:

*أما منحتك كل شيء يا بول؟ كنا سعيدين... فقال وصوته ينحدر الى زمجرة غاضبة، وشحوب قاتم يسري تحت سمرة بشرته:

*كنت أنت سعيدة، مستكينة لغرورك... أما ما اعطيتني فهو... ظلام طويلة العمر... هذا ما منحتني يا لوسيندا،

فتذكرني! ما منحتني شيئا، ولا تحتلكين أن تمنحيني! صاحت في لوعة ويدها ممتدتان تحت نظراته غير المبصرة: *كلا اعطيتك ما هو أكثر، وبوسعي أن اعطيك أكثر وأكثر... لكن كل أمل في قلبها مات، مزقته مخالب حقدته، اذ قال:

ماذا بوسعك أن تفعل لي؟ وتجمدت في مكانها، وهي تكره أن يكون هذا ستار الختام... واستلقى في مقعده، وقبضته مشدودتان في حجره، وقد شوهدت الكراهية معالم وجهه، وأخيرا قال بصوت خافت، يشوب سم كلماته رنة انقصار:

*افعلي ما يمليه عليك قلبك يا لوسيندا... اختاري الطريق الذي تبتغين... افعلي ما يمليه عليك قلبك... كأنها كلمات أبيها... وتساءلت:

*هل ستدعني أمكث معك؟ وتبدي الفوز في اختلاجة شفثيه، وقال:

أحسبك تعرفين ما تتوقعين؟ ورفعت يديها المرتجفتين الى وجهها، تصفط عينيها بأصابعها، وكأنها تخفف ضغط الدموع التي كانت تناضل لتنفذ من حاجز اليأس الجليدي... ونمغمت:

*أنني أعرف ما أتوقع... وما ل بول برأسه وكأنه يود أن يلتقط قولها، ثم قال: *مما يرتى له، أنك لم تطلقي عنفوان حبك وقت الحادث يا لوسيندا... كنت تعتقدين أن بوسعك الاستغناء عني... فأنظري أين قاذك خطأ؟ انتهت حياتك يا لوسيندا، فأنني سأردك في أعقد أنوار اليأس والتعاسة...*

قالت متجاهلة وعيده: *أما كنت تحبني... اذ ذاك؟*

مكتبة
٧٤
مكتبة
م

قال ويدها تختلجان بانفعال:

"لن أنكر هذا، كنت أكرهك، وأقول هذا لتدركي ضخامة خسارتك، وقد اذكرك بهذا من وقت لآخر، وقد أسمح في بعض المناسبات بأن امنحك السعادة للحظة، لمجرد متعة تعذيبك!"

وأنسابت الدموع غزيرة من عينيها، لامن جراء كلماته وإنما لأنه أقر بأنه كان يكرهك لو سيندا، بينما كانت هي تسعى لمجرد نظرة منه، بل تعتز بالابتسامة المزدريّة التي كان يخلعها عليها وهو كاره، لقد أخذت لو سيندا كل حبه، وهما هي ذي تيسا تتلقى كل كراهيتها وافاضت بها حسرة مريرة، وجففت دموعها ولكن النهنهة ظلت تهز كيائها، فتجلت على وجه بول ابتسامة راضية، وقال:

"لن تجديك الدموع شيئاً يا حسناي لو سيندا، ولكن واصلي البكاء فكم يمتعني أن تتعذبي!"

وأمسك لحظة، واجفلت تيسا لقسوة لهجته، إذ عاود الكلام: "هذا لا يذكر بجانب ما ستعانين قبل أن أفرغ منك أن حبك سلاح، وأقسم بالله أنني سأستغله أكمل استغلاله، وسأسمعك وأنت تصرخين طالبة الرحمة واذ ذاك ستدركين العمق الحقيقي لكراهيتي لك!"

★ ★ ★

ولم يطل الانتظار فبعد اسبوعين استمتع بول بسماعها تهتف بصوت محتبس:

"لا تفعل هذا بي يا بول، انك تصلبني حية!"
فانطلقت منه ابتسامة خشنّة وقال بشماتة مزهومة:

"فلتتعذبي يا لو سيندا، انني أحب أن أدرك مدى عذابك، فأني عذاب اسلمتني انت اليه؟ هل تعانين ما كنت أعانيه في ذلك الوقت؟"

وامتدت يداها في ضراعة، ولكنها ردتها الى جانبيها قنوطا وقالت:

"لا سبيل للمقارنة بين العذاب العقلي والعذاب البدني، أنا عاجزة عن الاستمرار!"

واعتدل في جلسته، وخيل لتيسا ان كل لون انحسر عن صدغه وقال:

"هل تودين أن تتركيني؟"

وترددت فلو سيندا كانت خليقة بأن تتركه، أما هي فكانت تيسا وقد تزوجته منتحلة غير شخصيتها، فمما تشكو، وكيف تهدد بأن تهجره؟ انها هي التي سعت الى ما أصابها، ولا لوم على بول وهمست:

"أنني لن أتركك أبداً"

وأضافت وقد أحست فجأة بالم يعتصر قلبها:

"في يوم ما يا بول ربما بعد أجل طويل، ستغفر لي، وقد ننعم بالسعادة معاً"

وخيل اليها أن ومضة عاطفية عبرت وجهه، أم تراها كانت واهمة؟ على أنه قال:

"لن ننعم بالسعادة معاً أبداً، لأنني أبداً لن أصفح عنك ما عشت!"

لم تعد تيسا ترى في بول سوى رجل يوناني، يوناني قح بدون أية قشرة من الحضارة الغربية، كانت لديه مجرد مملوكة مسخرة لاشباع شهواته، وخدمته واطاعة أوامره، ولو كان هذا مدى انتقامه، لاحتملت في فلسفة ولنشدت التعويض في أن تكون بقربه، ولكن بول لم يكن ينوي أن يقصر عقابه على عدم الاكترات بها، بل أخذ ينتهز كل فرصة لاذلالها،

وتذكيرها بالماضي، وإبراز الخسة التي نبذته بها، وكم ودت لو أنها ظلت صامتة فان العذاب البطيء كان أرحم من هذا، كان ثاره يتصاعد تدريجيا، ببطء موجه. لن أصفح عنك ما حبيت!

كانت هذه الكلمات تتغلغل في عقلا الباطني، ترى هل اعتزم قضاء العمر في شقاء؟ كان يقصد كل ما في هذه الكلمات من معنى، ولكن قد يلين الزمن قسوته، فعليها أن تصبر وتأمل.

وكانا قد تناولا الشاي في الشرفة ذات أصيل، حين سمعت صوت سيارة مقبلة فنظرت اليها ثم قالت لبول:

* هذا ستيفانوس *
كان ستيفانوس رئيس البلدة المجاورة وقد عرفه بول قبل مجيئها، وأصبح زائر الوحيد وهمس لها والزائر يجتاز الحديقة اليهما:

* تذكرني أن كلا منا متعلق بالآخر فستعذبين اذا خذلتني *
فقالت في هدوء:

* لن أخذلك. فلست أقل منك رغبة في ألا يرانا الناس غير سعيدين! *

وابتسمت لستيفانوس اذ حياها، وجلس الثلاثة يتجادبون الحديث بعد أن جاءهم تاكي بالمشروبات، وقال ستيفانوس مشيرا الى حرصها - في بداية قدومها - على فتح النوافذ لتنساب الشمس خلالها:

* ما رأيك في طقسنا يا مدام لوسيندا أما زلت تكرهين أن تصدي الشمس؟ *

واغتصبت تيسا ضحكة. كان قد تكهن بأنها ستعود لاغلاق المصاريع. حين تألف طقس الجزيرة. وقالت:

* انك على صواب، أحيانا. لا يدري المرء ماذا يفعل ليتخفف من الحر. *

فقال:

* وهكذا صرت تغلقين المصاريع؟ *

وشرد بصرها الى بول كان قد رفع يده الى رأسه يحجب الضوء عن عينيه، وكان طيلة الاسبوع السابق يشكو صداعا فقالت بقلق:

* هل يؤلمك رأسك يا بول؟ *

* قليلا يا لوسيندا. عساك أن تأتيني بنظارتني من غرفة الجلوس. *

وأسرعت بالنهوض. ولاحظت أن ستيفانوس قطب جبينه في حيرة وبدا أن المنظر الواقي من الشمس أراح بول بمجرد أن وضعه على عينيه، وعاد يضحك لفكاهات ضيفه، وما لبث ستيفانوس أن قال لتيسا:

* سيقام عرس في قرينتنا، فلعلك تأتيين لتريه؟ *

وأجابت:

* كم أتمنى ذلك؟ *

ثم التفتت الى زوجها قائلة:

* هل توافق يا بول؟ هل تود أن ترى... ان تذهب الى القرية؟ *
وخفق قلبها في عنف لماذا لم تفكر قبل الكلام، تفاديا للزلل! وأذ قال بول أنه غير مشوق للذهاب، بادرت في حزم:

* اذا فلن أذهب... بدونك. *

وساد صمت، وبول يعجب من أنها لا تتلهف لفرصة الذهاب وحدها، والتحرر منه قليلا، ورمقها ستيفانوس بفضول، وقال:

* ألن تذهبي بدون زوجك؟ اقنعها يا بول، وسأحضر بنفسني لاصطحابها. *

وألح بول وهي مشدوهة: أيفعل هذا لمجرد التستر أمام ستيفانوس؟ وترددت، ثم هزت رأسها رافضة. فأهاب الضيف بيول:

* اذا فلا بد أن تذهب يا بول، فلا بد أن زوجتك

تتوق للذهاب ..

وأدار بول رأسه ببطء وقال وفي صوته رنة غريبة:

* نعم يا ستيفانوس يجب أن أذهب متى سيكون العرس؟ *

* ليس قبل أسبوعين .. سأزوركما ثانية قبله .. *

قالت تيسا:

* هل تمتلك العروس بيتا جميلا؟ *

الواقع انها لم تكن تمتلك بيتا، لكنها كانت محظوظة فان عريسها كان بلا أهل، فكان البيت الذي يقيم فيه مملوكا له وحده ..

وقالت تيسا:

* لا بد أنه زواج قائم على الحب .. *

وأجاب ستيفانوس:

* أظن هذا أتستغربين عادة وجوب أن تمتلك العروس منزلا؟ *

فأجابت:

* طبعا فنحن في انكلترا تنزوج عن حب دائما وخفت صوتها، اذ لاحظت أن بول رفع حاجبيه، لينم عن دهشة ساحرة، وكأنه يذكرها بأن زواجهما لم يقم على حب أو بالاحرى على حب متبادل ..

وفي اليوم التالي كانا يجلسان في الحديقة، وبول يصغي الى الراديو وقد اداره خافتا، وتيسا تكتب رسالة لأبيها، وسألها بول - اذ فرغت - عما كانت تفعل، فقالت دون تفكير:

* كتبت رسالة الى أبي .. *

وأذ ذاك قال:

* لأبيك .. لأبيك وحده؟ .. *

فأسرعت تقول:

* ولأمي كذلك .. طبعا والتفتت، فأدهشها أن يبدو وكأنه يبسط بصره فقالت دون روية:

* أتستطيع أن ترى؟ *

* ما هذا السؤال؟ انك تعلمين تماما أنني لا أرى .. *

وأفلت القلم منها، وتلعثمت محاولة أن تعتذر، فقال:

* لا تكثرني أقرأ لي الخطاب .. *

وتساءلت في دهشة:

* هل أقرأه .. لك؟ *

وابتلعت ريقها بعناء، اذ قال بجفاء:

* هكذا قلت .. *

كان مسلكه ينم عن شك ذكرها بسؤاله - من عهد قريب - اذا كانت أخبرت والديها بما يفعله بها .. ونفت ذلك، ولكن قسماته الآن كانت تنم عن فضول كبير لمعرفة ما كتبت في الخطاب .. ولم يكن بوسعها أن تتهرب، وألا لعانت سياط كلماته لخمس دقائق على الاقل، يتلوها صمت يطول ساعات، وهو يتأمل مکتئبا رفضها أمره، وأجرت عينيهما في الصفحة مرتبكة تلتقط بعض فقرات تقرأها متلعثمة، فلم تذكر لأبيها شيئا عما يجري، خشية أن يعاني القلق من أجلها، ولكن الخطاب كان يتضمن تلميحات الى انتقالها شخصية لوسيندا، واختتمت قائلة: وقد انتهيت بقول:

* بول بخير ونحن جد سعيدين، وكأننا في رحلة ترويحية، ولا أتخنى سوى، لو كان بوسعك وأمي الحضور .. *

وأشدت أرتعادهما، وهو يتمتم ببطء، وعيناه نحوها في وضعهما السابق:

* أذن فالرسالة لأبيك فقط؟ ولماذا لا يكون بوسعهما الحضور يالوسيندا؟ *

قالت متلعثمة:

* أخطأت القراءة يا بول .. إنما كتبت اعني .. *

هتف في عجب:

* أخطأت؟ ألا تحسنين قراءة خطك؟ *

فندت منها ضحكة مرتجفة وقالت:

* انه خط بشع *

وتولاها فرغ، فقد كان خط لوسيندا دائما مثيرا للاعجاب،
وأردفت: "كنت أكتب والورق مسند الى ركبتي، فالخط غير
منسق" كان عذرا بعيدا عن الاقناع، فلم يدهشها الصمت
الطويل الذي أعقبته، وأخيرا سألتها بصوت خافت وهو يستلقي
في مقعده:

* أقرأي لي مزيدا من الخطاب *

وفي يأس تولد عن ذعر، راحت تلتقط نتفا من الخطاب،
بعبارات غير مترابطة، وبصوت متسلخ بالانفعال، وأذ ألفت
نظرة نحو زوجها، رأت العبوس الكثيف الذي ران على جبينه،
وأخيرا قالت:

* هذا كل شيء ما عدا الختام طبعاً *

فقال أقرأيه!

ودهشت ثم قالت:

* أبلغتهما حبنا معا، ووقعت باسمي *

واقسمت في نفسها ألا تكتب خطابها بعد ذلك الا وهي في
خلوة تامة!

٦ - السهام لا تترد

انقضى يومان بعد حادث الخطاب، قبل أن تستطيع تيسا
تمالك أنفاسها . كانت حتى ذلك الحين تحمل عبئا بسيطا من
الخوف، شعورا بأن زوجها مفرق في تدبيرها، لوضعها . فلما
لم يذكر مزيداً استخلصت أن قلقها لا يستند الى أساس .
وقال وهما يتناولان الفطور:

* سنذهب الى كيرينيا لأشتري بعض الاشياء *

فسألته:

* هل أذهب لاحضار البريد أولا؟ *

قال:

* سيحضره تاكي *

بلغا كيرينيا في الساعة التاسعة، فسألته وهي تمسك
بيده، اذ غادرا السيارة:

* ماذا تبتغي شراءاً؟ *

قال باقتضاب وخشونة مباغتة:

* خذيني الى صيدلي . يجب أن أحصل على دواء لصداعي *

وطرقت الدموع من عينيها، وهي تسأله:

* هل يشتد ايلامه؟ *

وشعرت بشيء من السخط على الأمر أو الطبيعة أو أي

شيء الذي يؤلم زوجها بهذه الدرجة . كانت بلواه الغظيمة كافية، لكنه منى فوقها أخيرا بهذا الألم الذي حرمه حتى متعة الراديو، إذ كان في الأسبوع الأخير يخفض صوت الراديو حتى لا يكاد يسمعه، أو يسكته تماما . وقد أطفأه - في المساء الماضي - ثم جلس أكثر من ساعتين واضعا رأسه بين يديه لا يتحرك ولا يتكلم، وهي لا تجرؤ على انتهاك الصمت، لأن طباعه لم تكن تطاق إذا تسلطت عليه نوبة الصداع .

قال:

* هل نحن في الشارع الرئيسي؟ *

فأجابت:

* تركت السيارة عند الشاطيء بقرب المقهى . *

فقال محتدا:

* أما كان بوسعك اختيار مكان أقرب؟ *

قالت في هدوء:

* الطريق مزدحمة، وهناك كثير من الحفر . *

وكان جوابه:

* إذا كانت الحفر كبيرة فلا بد أن بوسعك رؤيتها وتفاديها . *

وأردف بجفاء:

* لن أطوف بالمدينة ليتفرج الناس علي . *

وانكشمت أزاء خشونته، وقالت بدهشة:

* ما الذي تظنه يجعل الناس يتفرجون عليك؟ *

قال:

* يكفي تشبثي بيدك هكذا . *

وعلت شفيتها ابتسامة مريرة، لكنها تلطفت قائلة:

* كثير من الأزواج يسرون مئاسكي الأيدي . ما من أحد

يوليننا أتفه انتباه . *

قال:

* هذا ما تقولين، لكني لست ناقص الذكاء . *

وفي الصيدليه، أخذ يكلم الصيدلي باليونانية، وهي تراقب ملامح الرجل، إذ بدا الاهتمام على وجهه، وأخذ يهر رأسه وكأنه في حيرة من الأعراض التي كان بول يصفها . ومالبت أن اعطاه شيئا، فحفت تيسا إلى جواره وسألته:

* هل نتناول بعض المشروبات في المقهى؟ لا يوجد سوى نفر

قليل حول الموائد . *

وهز كتفيه في غير اكتراث . وأخذت تصف له - إذ جلسا إلى

أحدى الموائد - ما حولهما ثم قالت:

* وهناك يخوت شرعية، نظيفة وزاهية *

فسألها:

* أهنك اناس على الخوت؟ *

وارتجفت شفاتها، إذ أدركت أين اتجه تفكيره، إذ كان

يمتلك في انكلترا يختا نهريا جميلا، كان يصطحب لوسيندا

إليه يوم الأحد من كل أسبوع، وقد جاءت الأسرة كلها في

أحدى العطلات الأسبوعية، وكانت تيسا تتذكر ما خالط

سرورها - إذ ذاك - من ألم إذ اضطرت لمشاهدة ما كان بول

يوليه اختها من شغف وحنان . *

وإذ أفرغ قدح القهوة التركية بدا متمللا، ضائقا بالحياة

تقريبا، ثم قال:

* لنعد إلى البيت . *

وقالت وهي تنهض:

* ألا نذهب إلى المتحف يا بول؟ سيكون هذا لونا من التغيير،

وسيكون الجو لطيفا في داخله . *

قال في فتور:

* حسنا جدا، لك ما تشائين . *

فقالت في تردد:

* أنني لا أريد أن . . . *

وقطع عليها الاسترسال في خشونة:

"كفي عن الجدل بصدد كل شيء بحق السماء يا لوسيندا ٠٠ اذا
كنا سنزور المتحف فلنذهب دون ما جلية ٠٠"
والواقع أن رغبتها في زيارة المتحف خمدت، لكنها لم تشأ
أن تقول له هذا ٠

★ ★ ★

استقبلهما أمين المتحف مرحبا ٠٠ وشرع يحدثهما عن
المتحف ونشأته ومحتوياته، ثم اصطحبهما في جولة، وهو
يشرح كل شيء ٠٠ وزايل بول سأمه ونشط اهتمامه، كان ثمة
كثير من صناديق جهاز العرائس التي كانت كما قال الأمين
تصنع من خشب الأرز وتزين بالنقوش وتملا بأرق وأجمل
البياضات ٠ واستجابة لطلب بول أخذت تيسا تصف له دقائق
النقوش، فشاهدت على أساريه معالم الارتياح، وفتح الأمين
أحد الصناديق وقال:
"هذه الأقمشة المطرزة أمثلة لما كان يوجد في الصناديق،
وأخذت تيسا تصف لبول كل شيء ٠٠"
وقال أمين المتحف، وقد وقف بهما عند سرير جميل من
الخشب المزخرف:
"هذا سرير الزواج ٠٠"
فقالت تيسا لبول:
"انه أشبه بمهد الطفل ٠ يحيط به سياج من ثلاث جهات ٠٠"
فقال الأمين:
"هكذا كان سرير الزواج، ولا بد أن يكون بهذا الارتفاع، انه
تقليد متعارف عليه ٠"

وكان غطاء السرير من الحرير المطرز ببراعة وشاهدا
القياب التي كانت ترتديها العروس - وكلها مطرزة باليد -
ومقعدا مزخرفا بالحفر والنقوش الملونة، كانت تجلس عليه
العروس وهي تتقبل التهانى والهدايا، فقالت في دهشة:
"المرء يتصور أن الرجل - في الشرق - هو المستأثر بالأهمية
ولكنني أرى المرأة كانت موضع اعزاز في ملابس الزفاف ٠٠"
ابتسم أمين المتحف قائلا:

"المجتمع القبرصي قوامه المرأة أصلا ٠ ويؤسفني أن الرجل من
الغرور بحيث يحسب نفسه السيد ٠٠٠ فالببيت ملك للمرأة،
والأطفال لها، وهي صاحبة السلطان ٠ فإذا ماتت قبل الرجل لا
يحق له الزواج ثانية ٠٠"
هتفت تيسا ملتفتة الى بول:
"لا يتزوج ثانية ٠٠٠ ما سمعت بهذا القول ٠٠"
فقال بهدوء:

"القانون لا يرحم هذا، ولكن الناس لاتعفو عنه ٠ وقد سمعت
بأرامل من الرجال تزوجوا بعد فترة معقولة، ولكن كل
أصدقائهم وجيرانهم تراجعوا عنهم ٠٠"
وأقره أمين المتحف قائلا:
"إذا تحمل رجل، فهو راضي النفس على أن يعيش بقية عمره
وحيدا ٠٠"
فتساءلت:

"أهذا شأن المرأة كذلك؟"
قال الأمين:
"نعم ٠٠ هو ذلك ٠٠٠"
وسألها بول - في عجب ساخر - وقد استقر في شرفة
دارهما، في المساء:
"ألسنت تقريين تقليد عدم الزواج ثانية؟ أنتزوجين اذا أصابني
شيء؟"

كانت في صوته نبرة غريبة، غاض لها دم تيسا وهي تتذكر
نوبات الصداق وتتصور أرواح الأمور، وقالت:
*حسبك يا بول، اتخذ أية طريقة تشاء لا يذائي، الا ترديد هذا
القول.*

ولكنه ضحك، وقال مبدلا الموضوع:

*انك تحاولين جاهدة يا لوسيندا . كما تتعبين حين نكون خارج
البيت، اذ تصفين لي كل شيء بدقائقه . يا الصبرك ! انني لأرى
كل شيء بعينيك الجميلتين.*
فتساءلت برفق:

أعدت تلهو بي يا بول؟

فاذا بمسلكه يتغير تماما ، فيصيح محتدا:

لم لا ترحلين عني؟

ثم أردف بقسوة:

انك فعلتها مرة . . فماذا يدعوك للبقاء؟

قالت ببساطة:

انني أحبك.

فأخذت قبضتها تشتدان وتنسبطان، وقد بدا ان مشاعره
تأثرت وقال:

*وأنا أكرهك ! انك لفر يحيرني . هل حبك من القوة بحيث
يجعلك راغبة في تحمل هذا الجحيم بقية عمرك؟*
قد ترى يوما انني تلقيت من العقاب ما يكفي !
فهز رأسه قائلا:

*هذا قدرك يا لوسيندا . سأسحقك . سأعذبك بينما تتشبهين
بالأمل طيلة الوقت . سأحول أملك الى ذبابة تظل تتلوى في
جوفك حتى تبلغ نزعات الموت.*

ونصبت آخر قطرة دم من وجهها . لم يكن هذا بول الذي
عرفته في انكلترا . أنه لم ينزع القشرة - التي ذكرها أبوها -
فحسب، بل ارتد في الزمن الى عصور كان اجداده

فيها يوقعون بأعدائهم أشد ألوان العذاب وحشية، قبل أن
يسلموهم الى موت بلا رحمة . وتأملت وجهه، فاذا به مظلم
حقود يتلوى بالشر الذي أخذ يزداد شيطانية، كان شيطانا،
لا يعرف الرحمة . وضاعفت شقوتها حسرة بالغة، كثيرا ما
كانت شقيقتها لوسيندا تجعلها كبش فداء في بعض
المناسبات وهاهو الأمر يتكرر ثانية . صحيح أنه لم يكن
لأختها يد في هذا، ولكن العذاب كان قدرها ! بينما أفلتت منه
أختها، وأصبحت تهنا بخطبة جو وتسعى الى مستقبل
سعيد وهتفت تيسا لنفسها وهي كسيرة الفؤاد: ولكني
أقبلت على هذا بمحض اختياري، فبأي حق أشكو؟ ان بول
يستمتع بانتقامه، ولا أملك أن ألومه لأن لوسيندا كانت
تستحق العقاب على ما أدت به مشاعره!

وسألها بخشونة أمرة، موجهة عينيه غير المبصرتين اليها
وكأنه يود قراءة افكارها:
فيم تفكرين؟

فغمغمت بصوت أجش:

*لا أستطيع أن أخبرك ولكنك لو عرفت ما خالج قلبي، فقد لا
ترغب في أيدائي الى هذا القدر.*
قال:

أو تتوسلين طلبا للرأفة؟

فردت:

لن يكون لهذا نفع كبير.

وأشاح عنها . أتراها لمست عواطفه؟ ولكن القنوط طغى
عليها . لماذا تواصل الذكاء الأمل، وقد أقسم منذ لحظة بغير ما
شفقة أن يدمرها !

أصبت يا لوسيندا، لن يكون لهذا نفع كبير!

★ ★ ★

صاحت مارولا من باب الفندق، إذ مرت تيسا في طريقها
الى القرية:

* مدام لوسيندا *

ولوحث تيسا بيدها مواصلة سيرها، ولكن مارولا نادت
ثانية، فترددت، وهي تتنحى لتسمع لفلاح بالمرور وكشف عن
أسنانه القاتمة مبتسما، وهو يحييها:

* كاليميرا *

فردت التحية، ثم ابتسمت لزوجته، وهي تعتلي حمارا،
تجلس بجانبه كعادة القبرصيات، وتبعها طفلان جميلان
شديدا السمرة صبي وبنت، وكانت البنت تمسك بعصا تهش
بها على قطيع من الماعز بينما كان كلبها ينبج في رجل أقبال
على دراجة... كان كل امرئ يبتسم للآخر، ويحييه. واذ
مرت الاسرة بعنزاتها، التفتت تيسا الى مارولا، تحدجها
بنظرة متسائلة فقالت هذه:

"هناك سيد يقود سيارة مستأجرة، جاء للفندق يسألني ان
كنت أعرف مكان السيد بافلوس ديمتريوس فأخبرته. ولكن
سبيروس يقول انه رآه في الجانب الآخر للتل، وأظنه لم
يفهم ارشادي."

وسارت اليها تيسا متسائلة:

* سيد؟ هل ذكر اسمه؟ *

فأجابت:

* نسيت ان أسأله. قال انه جاء من انكلترا بحثا عن السيد
بافلوس *

وتسارع نبض تيسا:

* من انكلترا؟ ترى من يكون؟ *

وأردفت مارولا:

* انه أشقر الشعر، طويل يقول أنه والسيد بافلوس كانا
صديقين في انكلترا. وأخبرته بأن السيد بافلوس تزوج

من مدام لوسيندا *

وأبتسمت ثم أسترسلت:

* اتسعت عيناه هكذا وقال *

* اوه! أمكذا؟ ما قولك يا مدام لوسيندا؟ *

فتساءلت تيسا وهي شاردة الذهن خافقة القلب:

* هل دهش؟ *

انه جو فقد قال انه كان يعتزم قضاء عطلة في قبرص،
ويحاول العثور على بول ومضت مارولا تقول:

* نعم دهش ووجه أسئلة كثيرة عنك وعن السيد بافلوس، ثم
انطلق يسعى الى البيت، ولكنه أخطأ الطريق، ألم تريه؟ *

وقبل ان تستمع للجواب، صاحت:

* ها هوذا، لقد عاد هذه سيارته صاعدة من القرية. لابد انه
ضل فعاد ليسترشد *

تحولت تيسا مأخوذة ترقب السيارة المقبلة وخلفها سحابة
من الغبار. وتفككت أوصالها، وشحب وجهها حين وصلت
السيارة، وهبط منها جو وأومضت عيناه اذ وقعتا على تيسا
ولكنه كبح أي مظهر آخر للدهشة. وهتف:

* حسنا، ما أجمل ان ألتقي بك. كيف وجدت الحياة الزوجية
يا... مدام لوسيندا؟ *

وتضرج وجهها، وهو يضيف:

* انك تلوحين جميلة حقا... والسمرة تلائمك *

وكانت مارولا تراقبهما بفضول وتساءلت تيسا:

* انني... جو لماذا جئت؟ *

فقال:

* أخذت أجازتي مبكرا، ففكرت بلا ترو ان أجيء لآخر على
بول *

وصمت لحظة ثم قال بصوت لاينم عن تعبير جا:

* سألت اباك عنك، فقال انك عدت للتدريس في تركيا *

وبادرت قائلة:

* ما كان أبي يتعمد الكذب ولكني رجوته ألا يذكر شيئاً لأحد *
وأقبل سبيروس اذ ذاك، فسألها عما يتناولان، وتنهدت
ارتياحاً لأن ظهوره قطع الحديث * فقالت:

* سأتناول عصير البرتقال *.

ثم التفتت الى جو وقالت:

* جرب أن تذوق شراباً قبرصياً *.

ودخل سبيروس الفندق، تتبعه زوجته، فتحول جو توا نحو
تيسا قائلاً:

* يا لأعصابك يا فتاة! ما كنت أصدق هذه الجراءة منك! لقد
ترنحت حين حدثتني مارولا عن مدام لوسيندا التي أصبحت
زوجة بول أدركت انك هي فما كان لغيرك أن يفعل هذا *
ولكن، كيف - بحق السماء - ستخرجين من المأزق * انه خليق
بأن يكتشف الأمر يوماً *
فقالت:

* انه لم يكتشف حتى الآن!

هز رأسه مذهولاً، وقال بصراحة غلبت على أي تلمظ:

* أنني لا أتصور - في المقام الأول - كيف تمكنت من أن
تخدعيه *.

فمست ركني شفتيها ابتسامة، وقالت:

* أن بنيان جسمي وجسم لوسيندا واحد، فلم يفتن لأي
اختلاف، والواضح أنه غفل عن أنفي الافطس * وشفتنا كل منا
ممثلتان، فلم يلاحظ أي فارق *.

وبدت في صوتها مرارة، جعلت جو يصيح:

* ومع ذلك، فأنت غير سعيدة يا تيسا! *.

كان قلقه شديداً فتصرج وجوهاً، ولكنها قبل أن تتكلم
نهضت الى مدخل الفندق حيث كانت مارولا تجلس وقالت لها:
* أستطيع أن ندخل الاستراحة؟ *

فأجابت:

* لك أن تذهبي حيث تشائين هنا يا مدام لوسيندا *
وبعد دقائق، كانت تيسا و جو في غرفة الجلوس المنعزلة
فبادرت باغلاق بابها، وهي تقول:

* ان مارولا تحب دائماً معرفة ما يدور، اذا سمعت شيئاً
فسينتشر في القرية خلال ساعة! *.

وظل ساهما، ثم قال يشجعها:

* حدثني العم جو بما هناك، أصارحك بأن أسئلك عن بول
كانت قد شغلتنني، وانتهيت الى أنك ستحاولين زيارته،
ولكني ما تصورت اطلاقاً أمراً كالزواج *.

وروت تيسا كل شيء والدموع تترقرق في عينيها، فصاح
حين فرغت:

* مسكينة انت يا صغيرتي! لماذا تتلقين العقاب عن لوسيندا؟
أخبريه بالحقيقة! *

قالت وهي تهز رأسها بحزم:

* ما كان يبالي بي ابداً يا جو، بل كان ينفر مني، اذ ظن أنني
أطارده *.

وروت له ما سمعته ليلة أقام جو حفلة، فاكفهر وجهه،
وأشار في عجز:

* اسمعت هذا؟ وما الذي ينبغي الآن؟ *

فقالت باستسلام:

* لاشيء، يجب أن أتحمل، وأن أمل في مـ...، فقد يلين
يوماً! *

* ولكنك قلت توا انه جازماً انه لن يلين!

فهزت كتفيها قائلة:

* ما أدراه بما ستكون عليه مشاعره بعد عشر سنوات؟ *
فصاح في جزع:

* عشر سنوات؟ أنها عمر آخر يا تيسا! *

فرمته بتلك الابتسامة التي تبرز فيها العذوبة بالتهيب والاحجام، والتي اعتادت أن توجهها لزوجها، وقالت:
"انني قادرة على الانتظار عشر سنوات بل عشرين، وبرغم ما يقوله بول، فاني موقنة أنه لن يقتل أملي يوما".
وازدد جو آخر جرعة من الشراب بعناء وقال:
"لست أدري كيف أستطعت أن توغلي في التورط، ولكن كيف تواصلين الاهتمام برجل هذه معاملته لك؟"
فقال:

"انه لا يعاملني أنا فهو انما يعاقب لوسيندا".
فصاح في غضب:

"لوسيندا أفلتت! انها تلهو وتضحك ولا تحفل بشيء، متعلقة بذراع ذلك الغبي، محمقة في عينيه كتلميذة منيرة حبا، بينما تتلفين أنت ذلك العقاب عنها! هذا ظلم وخطأ، ولن تكوني أسوأ حالا اذا اخبرت بول بالحقيقة".
فقال بلهجة حاسمة:

"لن أخبره!".

وما لبثت أن سألته:

"أقادم انت لرؤية بول الآن؟"
قال:

"طبعا... سنصعد معا في السيارة".

حذرت تيسا في الطريق من أن يزل لسانه، وكانت في صوتها رنة خوف فقال:

"اطمئني، فان سرك في أمان، باستمرار".

أذ ذاك عاودتها الابتسامة وقالت:

"أتوقع أن يرغب بول في خداعك، بحيث نتصرف وكأننا لانزال متحابين".

وتهدج صوتها، وبكت، ولكنها سرعان ما تماكنت نفسها، ونظرت اليه معتذرة فتفرس في وجهها - في عجب - وقال:

تيسا، لك جمال لن تحظى به لوسيندا أبدا،
س يسع من اعماقك، هل فعل بك الحب هذا؟"
وضغط يدها قائلاً:
"أنك منيرة لاتنثنين، فتشبيني بالأمل، لان حبا مثل حبك لا بد أن يتغلب في النهاية".
وأشرقت نظراتها للحظة عابرة ثم قالت:
"أتظن أنه قد يصفح عني أقصد عن لوسيندا؟ أعتقد انه سيكف يوما عن أن يفضلي فنسعد معا؟"
فأجاب بصوت أجش:
"لا بد من يوم تسعدين فيه!"
ولم تظن الى أنه أغفل سؤالها الاولين متعمدا!

اختلفت مشاعر تيسا وهي تفود جو الى داخل البيت، وتنادي زوجها. لقد اعتزل بول كل امرئ في انكلترا، ولم يعط عنوانه لأحد، فظل عزوفا عن الاتصال - ولو بالرسائل - بأصدقائه. فكيف تراه يستقبل جو؟ واذ لم تتلق تيسا جوابا لندائها، فأخذت تبحث عنه، ووجدته مستلقيا في مخدعه القديم، وقد أغلق المصاريع الخشبية للنوافذ، دون الزجاج، ليتسلل الهواء خلالها،
همست:

"بول... أنائم أنت؟"

فأجاب بضيق:

"كلا ماذا تريدان؟"

* هناك زائر ولكن هل يؤلمك الصداع يا بول؟

قال:

* قليلا *

ثم استوى جالسا وانزلق من الفراش قائلا:

* زائر؟ *

* من انكلترا * انه جو جاء من انكلترا خصيما لبحث عنك *

وعلى الضوء الواهن رأت دهشته، ولكنها لاحظت كذلك

وجومه، فقالت في قلق:

* ألم يفد رأسك من الدواء الذي ابتعته؟ *

فمد يده يتناول العصاه من حيث وضعها وقال:

* انه يخفف الألم * هل وصل جو توا؟ كيف اهتدي لمكاني؟ *

وأوضحت له تيسا الأمر، فسألها ان كان جو قد عرف

بزواجهما * وترددت، اذا انكرت فسيتدفق سيل من الأسئلة لأن

جو ولوسيندا كانا ينتميان لوسط اجتماعي واحد، وقد يرى

بول غرابة في أن تخفي لوسيندا فجأة عن هذا الوسط ولا

تثور بصددها أسئلة *

لذلك قالت تيسا متلعثمة:

* نعم، أخبره أبي *

وخفق قلبها * خدعة جديدة على جو أن يكون شديد الحذر *

وسألها بول:

* كيف جاء الى هنا؟ *

وأذا أخبرته قال:

* أكان يقود السيارة؟ *

وتولتها رغبة جامحة في أن تفتح مصاريع النوافذ، فقد

أحست بأن الضوء الواهن يثقل أنفاسها وقالت:

* استأجر سيارة *

وقالت بصوت خافت، يشوبه القلق:

* أمغبط انت بوجوده يا بول؟ *

دق الأرض بعصاه حتى عرف موضع الباب:

* أنا * نعم احسبني مغتبطا * أجل سيكون وجود ضيف نوعا

من التغيير لنا *

وتنهدت تيسا بارتياح، وهي تفتح الباب دون أن تحدث

صوتا، قال بول وهو يتجاوزها:

* لا أرغب في أن يكون خصامنا ذائعا، أتفهمين؟ *

فأجابت:

* نعم يا بول *

وتوقف واستدار نصف دورة، وقال في سخرية:

* لن يكون عسيرا أن تقومي بدور الزوجة المحبة *

وأجابت بلطف:

* لن يكون عسيرا ابدا * ما علي سوى التصرف بأسلوب

طبيعي *

قال:

* ما أشق ما تحاولين في أية غرفة هو؟ *

فأجابت:

* في غرفة الجلوس الصغيرة * وقد طلبت من تاكي أن يحضر

بعض المرطبات *

وتركها بول وانصرف، وظلت لحظة جامدة بجوار الباب في

غرفته الخاصة، كأنما كانت كلماته خنجرا نكأ جرحا وغاص

فيه * ولكنها تعزت بأن لوسيندا كانت هي المقصودة *

ومنحتها هذه المعرفة قوة واحتمالا *

* ان زوجك هذا رجل غريب فكرت في اللحاق به الى الحديقة،
ولكني أدركت أنه سيعتبر هذا تطفلاً *
فقال بلهجة ناعمة مغممة:

* أنه كثيراً ما يمشي في الحديقة في هذه الآونة، فعبق
الزهور يشتد في الهواء العليل الطلق *
وقال جو وعيناه لا تبحران الرجل في الحديقة:
* هل يحب أن يكون وحيداً هكذا؟ *

فأومأت برأسها ثم قالت بلهجة نمت عن استفراق في
التفكير، وقد ندت عنها زفرة لم تتمالكها:
* أنا أيضاً لا أتطفل على عزلته وأشعر مثلك بأنه لا يرحب
بصحبة أحد *
قال مؤاسياً:

* لا تدعي هذا يجرح شعورك أكثر مما ينبغي، كثير من
المكفوقين يجنحون الى الوحدة، يودون أن يبتعدوا تماماً عن
كل الادميين *
واكتفت تيسا بالايحاء، بينما واصل جو كلامه:
* بداخلني أعجب شعور نحو بول * شعور لا أدري كيف
أوضحه *
كانت عينها على زوجها، وقد وقف في ظل بعض

الشجيرات، يعب شذاها، خطر لها أنه كان مرهف الحس ازاء
العزلة وكان من اللازم أن يحظى بهذه اللحظات المتسعة
بالسلام التام والوحدة * وقال جو:
* أوقن بأنه يناضل شيئاً ما، مما يثير اضطراباً عظيماً في
نفسه *
فأدارت رأسها نحوه متسائلة:

* ما أعرب ما تقول يا جو، أي اضطراب؟ وما الذي يناضله *
وتردد طويلاً، ثم قال:
* هل خطر لك يوماً أنه ربما بدأ يشفى من حقه على

٧ - الألم والأمل

كانت السماء بلون الكهرمان، انتشرت فيها نطف من الوان
قوس القزح، ووشيت بلمسات من ذهب شفاف * هكذا كان
المغرب بكل بهائه * ووقفت تيسا على شرفة سطح الدار تتأمل
قرص الشمس يهبط وراء البحر * وسيطرت سكينه الصمت على
كل شيء، حتى النسيم الذي يهب من الجبال مضمخاً بعبير
الصنوبر ليمتزج بأريج الروائح المنبعثة من الحديقة * ولقت
نظر تيسا حركة * كان بول بين أزهار الحديقة، يستوعب
جمالها باللمس والشم * وفيما كانت تراقبه شاردة البال
مهمومة رآته يقطف وردة فيلصقها بوجهه، ويقف ملياً غير
متنبه لعيني زوجته وأشرق على وجه تيسا ابتسامة حانية،
اذ وضع بول عنق الورد في فمه، واستأنف تجواله * ومن
التصرفات المألوفة للرجال اليونانيين وضع زهرة في الفم،
فهم يحبون كل شذى، وكانت تيسا ترى أن ثمة سذاجة ساحرة
في أن يحمل رجل كبير زهرة على هذا النسق * ولكن ذلك ما
كان ليتمشى مع شخصية بول الذي أصبحت القسوة وعدم
المبالاة جزءاً من مظهره!
والتفتت فجأة وهي تبتسم اذ سمعت صوتاً هامساً خلفها
يقول:

لوسيندا؟ فازاء رعايتك المتبخرة وصبرك، وأسلوبك الفاتن في معاملته.. كان من أغرب الأمور ألا يكون لكل هذا تأثير عليه..

وهمت بأن تعارضه.. ولكنه قاطعها قائلاً:

لو صح هذا، وكان قد بدأ يقع في هوى لوسيندا من جديد، فهذا يقسر شعوري بأنه يتعرض في أعماقه لصراع.. وهو خليق بأن يزدري نفسه، مما يجعله يناضل هذا الحب!

وهزت تيسا رأسها قائلة:

أنه لا يزال يكره لوسيندا، لاشك في هذا.. وصفحه عدا فعلته به سيتطلب وقتاً طويلاً، طويلاً..

وعبس جو وقال:

هناك لحظات يا تيسا، يكون فيها محباً..

فبادرت بأسى:

انه مجرد تحنيل أمامك.. وأحياناً يكون بول لطيفاً هكذا ونحن معا، ولكن ليذيقني ما أفتقده فيثير حسرتي.. لقد قال بأنه يفعل ذلك ليعذبني!

هتف جو وهو لا يكاد يصدق قسوة بول المقرونة بسبق الاصرار:

يا للوحشية الشيطانية، ان لوسيندا تستحق كل هذا، وما كنت لألومه اذ ينتقم منها، ومع ذلك فمن العسير أن أصدق أن بول اوتي هذه النزعة البربرية..

فقالت وهي تعود لشرودها المتأمل:

أوافقك، والواقع انني ما كنت أصدق انه قادر على كل هذه الانفعالات العنيفة.. وفكرت فيما قاله عن احتمال وقوع بول مرة أخرى في هوى لوسيندا بسبب رعاية تيسا الحنون، ولكنها هزت رأسها مؤكدة أن كراهية بول للوسيندا باقية على أشدها فقال..

*انك أدري طبعاً.. ومع ذلك فانني أشعر شعوراً قوياً

بهذا الصراع، لكن لعل له سبباً آخر لا أعرفه!*

وبادر بتغيير الموضوع قائلاً:

*بقي أسبوع واحد وأعود الى طاحون الاعمال لعلني أتمكن من

زيارة أخرى، في عيد الميلاد..*

كانت الوان السماء تذوب في ضباب شفق الغروب والظلال

تستطيل، ولن تلبث سكينه الليل أن تغشى قلب تيسا.. كانت

تنعم بهذه الفترات الوجيهة كل مساء، فتتوارى آمالها،

ويضيع في قلبها شعور غريب بالتفاؤل كأنها كانت الـجيرة

الى جانبها تمدها بقوة متجددة لتواجه يوماً مقبلاً مليئاً

بالاجهاد النفسي وجراح المشاعر.. واستدار جو قائلاً:

يا للموقع الذي اختاره بول للبيت، انه رائع!

فقالت في حزن، وهي تطل الى أسفل:

رائع ولكنه لا يملك رؤيته!

* * *

وفجأة، تصلب كيانها، وشهقت:

جو ثعبان يقترب من بول!

وعادت للتو ليونة أطرافها، فاندفعت تهبط الدرجات..

وتعثرت، ولكنها استطاعت أن تمسك بالسياج بدمجزة،

وراحت تقفز الدرجات، كل اثنين معا، ولم تصرخ محذرة بول

خشية ألا يدري ما هناك وقد يرتاع، كان الثعبان المميت

ينتصب جامداً، مراقباً ثم انزلق على الارض مقترباً من بول

على مهل وبول مكانه والوردة بين أسنانه، يستمتع مطمئناً

بالتسليم المعطر، واعتصر قلبها خوف فظيع.. وبلغت

الحديقة أخيراً، فتسللت والتقطت حجراً كبيراً، وزحفت
مقربة لثلاثي تخطيء الهدف، ثم ألقت الحجر بكل قوتها على
الثعبان الذي كان يهجم بالانقضاض على زوجها الأعمى

واستدار بول هاتفاً:

ماذا؟

فأصابت عصاه طرف تيسا وافلتت منها صرخة، فقال
بخشونة:

ماذا تفعلين إذ تتسللين هنا؟

ولكن تيسا لم تنتبه لجفائه، إذ كان الثعبان يتلوى وقد
أصاب الحجر جسده دون رأسه، وخيل اليها أنه يتطلع إلى بول
في حقد أسود، وكادت تتهاك ارتياحاً، إذ سمعت جو يقول:

لا عليك، سأتولى أمره!

ولم تنتظر ما يفعله بل تناولت ذراع زوجها وقادته إلى
البيت، ولم يقاوم، أو يحتج، أو ينبس ببنت شفة، بل
أعطاهما الوردية - حين استقر في غرفة الجلوس - طالباً وضعها
في الماء، وشعرت بيدها ترتجف، ولكنه لم يخرج عن صمته،
وقالت متلذمة:

الأريكة خلفك، هل أحضر لك شراباً؟

فخرج عن الصمت قائلاً:

نعم، واحضري لنفسك كأساً، تناولي قليلاً من الشراب.

أحضرت تيسا صينية عليها عدة قناني وكؤوس، وأقبل جو
قائلاً بأن الثعبان مات، فهتفت:

الحمد لله!

وقررت ألا تدع بول وحده في الحديقة مرة أخرى، فلا بد أن
هناك ثعابين أخرى وقال بول في هدوء:

لعل أحدكما يروي لي ما جرى!

وقتح جو فمه ولكن تيسا هزت رأسها بشدة، وقالت:

لا شيء يا عزيزي، الظلال أوهمتني بأن هناك ثعباناً!

وصمتت فرفع جو حاجبيه وكأنه ينيهاها إلى عدم جدوى ما
تحاول أن تختلقه بدلاً من الحقيقة، إذ ذاك قالت، متصنعة
الاستخفاف:

*كان هناك ثعبان يا بول، ولكنه صغير جداً، ولا أدري ما الذي
اعتراني فأنا لست سريعة الفرع عامة!*

وتناوبت على وجه بول المشاعر، وهو يتناول الكأس من جو
ويرفعها إلى شفثيه، وأخذ عرق في صدغه ينتفض واختلج
جانب من فمه، وقال:

سمعتك تقول أنك ستتولاه يا جو، فما حجمه؟

فقالت:

*ليس كبيراً، ولكن جو قاطع قائلاً:

*طوله ثلاثة أقدام، وكانت لوسيندا قد هاجمته قبل أن أمبط
من سطح المنزل، فلم أفعل سوى أن أجهزت عليه.*

وحديثه تيسا بنظرة غاضبة، فما جدوى اطلاع بول على
الحقيقة؟ إن ذلك كفيلاً بأن يجعل خروجه إلى الحديقة وحيداً
مصدر اضطراب، وكانت تيسا حريصة على أن تكون دائماً على
مقربة منه، دون أن تحرمه من الشعور بالوحدة، وكانت ترى
أن من القسوة أن يحرم من ساعة الخلوة هذه
غمغم بول وهو يتناول كأساً أخرى:

ثلاثة أقدام، وكانت لوسيندا قد هاجمته؟

فبادرت قائلة:

كلا يا بول، بل رميته بحجر فحسب، لأرهبه.

فتساءل في فضول:

من أية مسافة رميت الحجر؟

فأسرع جو قائلاً:

*كانت قريبة جداً يا بول، وكان الثعبان يهجم بأن ينقض
فاضطرت لوسيندا للاقتراب جداً حتى لا يخطئه الحجر؟*

وأمسك لحظة، ثم أردف:

*أعتقد أنه كان تهورا من لوسيندا . كان من المحتمل أن يتحول الثعبان إليها *

فعبست . ماذا كان جو يحاول أن يفعل؟
وقالت باستخفاف:

ما كان محتملا أن ينقض . هل املاً كأسك يا عزيزي بول؟

* * *

وفي ذلك المساء ذهبوا الى العشاء في أحد المطاعم الساحلية . وجلسوا الى مائدة في الخارج، تحت السماء المرصعة بالنجوم، وكان البعض يسبحون فأخذت تصفهم لبول، وتبين مبلغ استمتاعهم، ثم أردفت:

*أنهم يحظون بفترة مدهشة ونحن لم نمارس السياحة أبدا في الليل يا بول . وعضت على شفتيها، ولكن بول أبتسم ايهاما لجو وقال:

*أذن فلنعمل يا عزيزتي . عسى أن نتمكن من ذلك قبل رحيل جو . . . *

وأخذوا يتناولون العشاء، وفرقة من موسيقي البزق تعزف . وكان بعض الناس يرقص على الانغام، في مرح وتحير من الكلفة وقال بول وقد فرغوا من العشاء:

*لم لا ترقصين مع جو؟ خذها يا جو *

كانت في صوته نبرة جعلتهما يرميانه بنظرة سريعة . وبدا أن تغييراً طفيفاً طرأ عليه، تعذر ادراك كنهه، بجانب شيء مبهم أعاد لذاكرة تيسا اهتمامه الغريب بالرسالة التي كتبتها الى والدها، وتعليقاته التي ملأتها ذعرا طيلة يومين ا

كان الرقص مبعث غبطة ولكنها لم تكن تتمالك - من آن لآخر - ارسال زهرة خفيفة والنظر الى بول وقد جلس وحيدا موليا وجهه شطر البحر . حتى اذا عادا الى مقعديهما، تساءل:

كيف كان الرقص؟

كان ابتهاجه واضحا، فلماذا التردد؟ وأجابت:

*كان ممتعا يا بول . الكل مرحون، ضاحكون، وقد طرحوا عنهم كل شيء . *

فقال:

*أجل، أخشى أن لديكم في الغرب موانع وشواغل لا تجعلكم تستخلصون خيرا ما في الحياة . *

وقال جو معلقا:

*الفارق هو أن القوم هنا لا يشغلون بالمال، انهم يمارسون عملهم في غير تعجل يجمعون بعض خشب الوقود من هنا وهناك ويسوقون ما عزمهم وغنمهم على التل في رضى وقناعة . *

وأمسك متفريسا وجه بول وسأله:

ألسنت توافقني؟

قال بول:

*الناس في كل الدنيا تعنى بالمال، وهنا - لاسيما هذه المنطقة بالذات - للمزارع عمل أساسي هو أن يعد بساتين الليمون الخاصة به، وبعد ذلك لا يبقى له عمل سوى ري

الأشجار . لهذا يحق له أن يجلس، وأن يقضي أيامه في المقهى يلعب طاولة الزهر أو الورق ويجني من الليمون ألفين تقريبا في العام . *

وهتفت تيسا في دهشة:

*كل هذا المقدار ١٥ والفلاحون يبدون مدفعي الفقر . *

ورد بول:

*كل هذا المقدار حقا، فالليمون قد يبدو مهجلا على الأرض هنا، ولكن تأملا سعره عندنا في انكلترا ! *

فوثب جو على الفرصة متناسيا الليمون:

* عندنا؟ أما زلت تعتبر أنك لست وطنك؟ *

غمغم بول في تأمل:

* بلى للعجب! *

وما كانت تيسا لتضن بشيء لتعرف أين كان اتجاه فكره؟ لعله كان يسترجع بحنين الاوقات الرائعة التي قضاها هناك مع لوسيفدا عندما كانا متحابين والمستقبل ينبسط أمامهما كصورة مثالية للنعيم. كان هذا قبل أن ينقلب الحب الى كراهية قوية، طاغية بعثت شرا كامنا في نفسه، وشوهت قسامته المليحة الى معالم شيطانية؟ وما لبث بول أن قال بعد فترة:

* أظن أن الوقت حان لنصرف! *

* * *

تولت تيسا قيادة السيارة في العودة وكان جو قد صرف السيارة المستأجرة. وكالعادة وضعت تيسا زهرة شذية بجوار زوجها، فأمسك بها وراح يتحسسها برفق وحنان، ويقربها الى وجهه، وفي حركته بساطة غريبة، وقد شرد ذهنه، فبات لا يعنى بغير السمات الجمالية للزهرة. أترى كانت هذه نتيجة لعماه؟ فطنت الى أن ذهنها توزع بين الطريق والرجل الجالس الى جوارها، فما لبثت أن استعادت بجهد السيطرة على القيادة. وعندما لاحت الفيلا البيضاء أخيرا، كان تاكي قد ترك أضواء الواجهة مضاءة، فهذا المكان كقصر سحري فوق الهضبة بين السفوح المكسوة بأشجار الصنوبر. وقال بول بمجرد دخولهم:

* سأوي الى الفراش. طاب ليك يا جو. طاب ليك يا عزيزتي! *

وتركته يمضي، ثم أومات لجو معتذرة وتبعته زوجها. وعندما عادت كان وجهها شاحبا، واجما. وقالت متهدجة: * رأسه... أنه يضعه بين يديه. هذه الآلام تروعه. ترى أي تفسير لها؟ *

فقال جو:

* أصبري ياتيسا! عقلك مثقل بما يكفيه، فلست بحاجة لقلق آخر كهذا! *

فهمت:

* ولكن، لماذا ينبغي أن يعاني الآلام؟ انها قاسية، وأن كان لا يتحدث عنها كثيرا! *

وبدا كأنه لا يصغي اليها، وعلى وجهه تقطيب ينم عن التفكير، وفي عينيه وميض عجيب. ثم سألتها:

* النظارة القاتمة التي يرتديها. هل يستعملها دائما؟ *

فهمزت رأسها وقالت:

* ما أستعملها الا حديثا ولقد ذهلت حين قال انه يريد شراءها. وكان يضعها من وقت لآخر، ولكنه الآن يبدو غير مرتاح بدونها! *

وارتجفت وهي تلاحظ أسارير جو، وقالت:

* أظن يا جو أن لنوبات الصداع علاقة بعينيه؟ *

وتفرس في عينيها، وسألها من ناحيته:

* إذا الامر كذلك، فهل تدركين معناه؟ *

وبدت حائرة، وقالت:

* كلا! *

وكانت النوافذ مفتوحة، وبدا جو منصرفا الى أصوات الليل المتصاعدة من أسفل السفوح، ونقيق الضفادع ونهيق حمار ربط الى شجرة على الطريق، وعاد يتكلم، وكأنه يتمتم لنفسه:

*لماذا يطلب النظارة فجأة، بعد أن يكون قد تركها طويلاً؟
انتي أعتقد أن لنوبات الصداع علاقة بعينيه!
وانتبه الى تيسا متسائلاً:
هل خطر لك احتمال انه يبصر؟*

* * *

وارتجف كيائها، وصاحت:
يبصر؟ كلا انه لا يرى قطعاً انني متأكدة!
قال:

*أحسب أنه ما كان ينبغي أن أقول هذا. ولكن لعلني تنبّهت
الى أن الضوء يزعجه، وإذا كان الضوء يضايقه*
ولم يتم، ولكن ما أمسكه كان واضحاً. واشتد ارتجاف تيسا
وتولاها خوف أعظم من خوفها من المستقبل، وقالت متلعثمة:
*الاطباء في انكلترا... كلهم قالوا ألا أمل، أنني موقنة بأنه
لن يبصر ثانية.*

واندفعت خلال النافذة فراشة كبيرة، حلقت حول مركز
الضوء، ملقية ظلالاً خاطفة على الجدران والأرض. وقال جو:
*لعلهم كانوا مخطئين، هذا أمر كثير الحدوث. كانت حاله
غريبة، كما أخبرتك، لم يكن أعجب حين نهض وانقض على
اللهب. لقد نشأ عماء عن صدمة الاعتقاد بأن لوسيندا كانت
تحترق في السيارة حتى الموت!*

وجلست تيسا مشدوهة، لا تجد كلاماً، وقد هزها أن كل ما
قاله جو بدا جاداً. كانت هي الأخرى قد حارت أراء طلب بول
النظارة، ولاحظت أنه كان يحجب الشمس عن عينيه،

وتذكرت مظهر الصيدلي وبول يحدثه عن الصداع والدواء... إذ
قال بول أنه أفاده قليلاً، ولكنها توقن الآن أنه لم ينفعه
البتة، وتطلعت الى جو شاحبة الوجه مذعورة، ثم قالت:
*لو استرد بصره لانتهى أمري! كافحت في أمل، وصليت بدون
جدوى.*

تملئ جو في جلسته وقال:
يحسن أن تتناولني شراباً قوياً.
ونهض فسكب لها كأساً وقال:
*أظنني بدوري بحاجة الى كأس قد أكون مخطئاً فيما قلت،
ولكن الأمر جدير بالقأمل.*
فهتفت في جزع:

كلا، لن ارتضي أن أفقده.
واستدار نحوها قائلاً:

أتحرمينه فرصة الابصار ثانية؟
وبادرت قائلة:
نعم... كلا.

ثم أمسكت وهزت رأسها عاجزة عن التفكير، وصاحت فجأة
في لوعة:
أنني لا أستطيع أن أفقده... لا أستطيع!

فقال:
لماذا تجزمين أنك ستفقدينه؟ تذكرني انكما متزوجان.
فقالت:

*سأفقده طبعاً، فالتني تزوجها هي لوسيندا - في اعتقاده -
وبوسعه الظفر بالطلاق دون عناء.*
وتجاهل عبارتها الاخيرة، ليذكرها بأن بول قد أبغض
لوسيندا، فقالت:

ليس هذا مبرراً لأن يحبني!

*انك على صواب، لكنك كنت مفرطة الرعاية له، ولا بد

أن يقدر هذا .

أنه لن يحبني أبداً، كان في أنكلترا ينفر مني كل النفور، وقال أنني أطارده، فماذا يساوره إذا علم يوماً أنني استغليت عماء لكي . . لكي استأثر به؟ سيعتبر هذا تصرفاً مريباً، وله الحق في هذا .

وتجلت في عينيها نظرة قانطة، مرتاعة، وأردفت: "لا أريد أن يرتد اليه بصره، لأنه سيصبح أشد غضباً ونقمة، إذ رأى نفسه مرتبطاً بي أنا الفتاة التي كان يعافها، والتي قال أنها دميعة!"

فهتف جو بحدة:

"ما قال هذا أبداً ."

قالت:

"قال أنني لولا عيناى لا أساوي شيئاً ."

وأنبتت الدموع من عينيها، فتركها جو تبكي، حتى إذا أخذ النسيج يهز كيانها، نهض فأحاطها بذراعيه وقال: "اسمعي، ما من داع لهذا، فليس لدينا دليل على أن بول سيري ثانية يوماً ما، لننس الأمر حالياً . وبمجرد عودتي إلى الوطن، سأسأل في الأمر، لي صديق يعرف أخصائياً في العيون ."

صاحت تيسا في انفعال هستيري:

"كلا! لن أقبل أي تدخل في حياتنا، قلت لك أنني لا أريد أن يبصر!"

فانتقل من جوارها، وساد الغرفة الصمت . وأخيراً رفعت تيسا المعنديل عن عينيها، ونظرت اليه، فقال:

"بول صديقي يا تيسا، ويجب أن أسأل ذلك الأخصائي . لقد قام - بالعلاج والجراحة - بعد . . وأحال أنني أتذكر، أجل كانت هناك حال شبيهة بحال بول: امرأة فقدت زوجها في حادث، وأدت الصدمة إلى أن فقدت بصرها، اعتقد أن

الأمر لم يستدع جراحة، فقد استجابت للعلاج!" فذكرته تيسا بالعلاج الذي تلقاه بول بعد الحادث . وتجاوز

جو عن قولها، وقال بحزم:

"واجبي أن أساعد بول، إذا استطعت ."

فصاحت:

"انه زوجي . . وأنا صاحبة الرأي ."

فقال مواسياً:

"اشربي كأسك . أنك لا تدركين ما تقولين، وعندما يتسع الوقت لتفكري فيما سيكون لجراحة ناجحة . . أو لعلاج - من تأثير على زوجك، فسوف تبدلين رأيك . انها حياته يا تيسا، ويجب أن تتاح له الفرصة ليحيها كاملة ."

قالت في اصرار، ولكن بمزيد من الهدوء وضبط النفس:

"لن أساعد بأية حال في عرض بول على ذلك الرجل!"

"اتقضين على زوجك بأن يعيش عمره في ظلام؟"

"أجل . . أن هذا لخيراً!"

فهتف:

"كيف يكون العمى خيراً لأي امرئ - يا تيسا بحق السماء؟"

فقالت في استماتة:

"أنت قلت أننا لانملك دليلاً على أنه سيبصر ثانية، فمن القسوة اصطحابه إلى ذلك الرجل، وأحيا - آماله . كلا لن أسمع بايذاء مشاعره!"

وشعرت بارتياح، ولكن للدمعة واحدة، إذ أخذ ينمو في جوفها هم مروع، أدركت بغريزتها أنه خليق بأن يرددها في شقاء . ويأس يفوقان ما قضى به بول عليها!

فقال جو:

"صحيح أننا لا نملك دليلاً يا تيسا، وصحيح أن آمال بول ستتجدد، وقد تخبو سريعاً، ومع ذلك، فعلياً أن نتيح له فرصة . هذا واجبنا يا تيسا ."

قالت:

* واجبي الأول هو أن أحمي زوجي من الأذى . ولست أرضى
بإذكاء أماله ثم اطفائها . لقد عولج وأخفق العلاج، واني
لموقنة بأنه سيخفق ثانية! *

وجلست طويلا - بعد انصراف جو الى النوم - تحملق في
اتجاه البحر البعيد . وكانت حمرة الشفق تدب في السماء
مؤذنة بالفجر، حتى أوت أخيرا الى فراشها . وكان بول قد لاذ
بالغرفة الأخرى فأطلت عليه خلال الباب، وعلى الضوء الخافت
الذي تسرب من خلال مصاريع النوافذ، لاحظت أنه متملح في
نومه، إذ كانت انفاسه ثقيلة ومضطربة . وبهدوء انسحبت
وقلبها وعقلها في دوامة: أمن الممكن أن يبصر ثانية؟ لقد
سمعت أن الراحة والعلاج المتخصص قد يؤديان لارجاع البصر
المفقود أثر صدمة . وهمست لنفسها:

* لن اطلع بول على هذا!

وتأملت وجهها في المرآة، والانف الأفتس، وعظام الخدين
والقسامات التي لم تصفها إلا بـ "بعضة" كما صاغت ملامح أختها .
ولم تر عينيها الجميلتين، ولا الحنان والشفقة الفياضين،
فيهما ولا الاستدارة الجميلة لشفتيها، وقالت:

* كلا، لن اسمع للاخصائي بمجرد فحصه . لن أخسر زوجي!

وأخذ الصراع بين ضميرها وقلبها يعصف بها . انه ملكي
فلماذا أجازف بأن أفقده؟ ولماذا قدر لجو أن يأتي فيعكر علينا
حياتنا؟ الواجب؟ انه لايمت اليه بقربى، مجرد صديق .

فبأي حق يتحدث عن الواجب؟ انني أنا - زوجة بول - التي
سوف تبنت وتقرر:

أجل، وهي وحدها صاحبة الحق في القرار!
وأخذت تذرغ الغرفة، ثم التفتت إذ دخل عليها بول في
ثياب النوم وشعره الاسود يتهدل في فوضى جميلة . وقال وهو
يسير نحوها، مستعينا بعصاه:

* انت قلقة . . سمعتك طيلة الساعة الماضية لاتهدأين . هل
تحسين بمرض؟ *

فبادرت قائلة:

* كلا . لم استطع النوم . لعلك تأثير الشراب . وأحاطها
بذراعيه . أين ذهب العناق البدائي العنيف الذي كان يؤلمها
به في الماضي؟

فأدركت، وتطلعت لوجهه بعينيها الجميلتين، وقالت:

* هل عدت تعبت بي، أتوسل اليك الا تفعل . الآن! *

قال بايجاز ولهجة باردة:

* لم لا؟ سأعذبك بك عندما يخلو لي . وانصاعت في استجداء،
وهي تقول:

* انني متعبة جدا يا بول!

لمس عنقها، ثم ذقنها وتحركت أصابعه خفيفة على
قساماتها، من جبينها حتى فمها . وكان فمه مغلقا بشدة، وقد
بدت لمسة من اللون الرمادي حول ركنيه . ولمست أصابعه
أنفها، الانف الأفتس الصغير، الذي لم يكن يشبه أنف
لوسيندا . وحبست تيسا أنفاسها، لقد فعل بول هذا مرات
كثيرة من قبل، ولكن بطريقة شبه عابرة، وكأنه غير معنى أو
مشوق . أما الآن فقد بد أنه شديد الاهتمام بما كان يفعل!

وندت عنه أخيرا زفرة عميقة، لم تنم لها عن شيء . وظل
فمه مطبقا ولاحت عليه خشونة مختلفة عن أية خشونة عهدتها
منه من قبل . ودفعها عنه بجفاء . وقال

* أنت متعبة أليس كذلك ؟ *

كان صوته خافتا حتى كادت لاتسمعه، ومع ذلك شابته رنة
أرسلت قشعريرة في عمودها الفقري .
وعاد يقول:

* اذآ، فارجمي الى فراشك، وحاولي أن تنامي . *

وتوقف برهة، وكأنما استولى عليه شيء من التردد، ثم
غادرها عائدا الى غرفته .

وسمعت صوت قفل بابه يتردد في سكون البيت، فاذا بها
تحس بوجود حاجز - أكبر من الباب - بينها وبينه .

وخامرها الشعور العاجز اليأس بأنها مطرودة من حياته .
الى الأبد !

٨ - ليلة التحولات

لم تكن الساعة قد تجاوزت الرابعة والنصف صباحاً، ولكن
تيسا كانت مستيقظة، تقف في نافذة غرفة النوم، تسرح
البصر نحو الجبال، كان ثمة ضباب داكن يلف القدم، والمنظر
معتماً يتسق مع مزاجها . وظلت فترة طويلة تحديق في طبيعة
غير واضحة المعالم . وما لبثت الشمس ان أشرقت، ولكنها
كانت تفتقر الى البهاء الذهبي المعهود، وكأنما قرصها
الؤلؤي أخذ يرقى، مرسلأ أشعة مائلة من ضوء باهت، خلال
أغصان الشجر . وكان مقدرا للشمس أن تشرق بعد قليل،
وتسترد لونها الذهبي، وتغمر الطبيعة كلها بضوء متألّق .
ولكنها في اللحظات المراهنة كانت تعكس الكأبة الباردة التي
احتلت أعماق تيسا !

تحولت تيسا عن النافذة وكأنها تعاف أن تشهد
الأشراق . وتناولت الروب دي شامبر عن السرير فأرتدته
وخرجت الى الردهة . كان باب غرفة بول مشقوقا، وسمعت
تنفسه المنتظم، فتوقفت لحظة تنصت لصوت في نفسها
يسألها "لماذا لجأ الى النوم وحيدا؟" لكم حاولت منذ حادث
الغبان أن تتذكر ما يمددها بمبرر للتغيير الذي طرأ عليه .
كانت من قبل امرأته - كما يطلق القبارصة على الزوجة -

فكان يأخذ ما يشتهي ومع أنه ما كان يمنحها حبا ولا حنانا مقابل ذلك، فأنها كانت تشعر بأنها جد قريبة منه، لصيقة به، إذ أنها كانت تمنحه - من ناحيتها - الكثير وكانت تودع استجابتها له كل ما تحس به من حب له، وكل ما يفيض به قلبها من وجد. أجل، كانت تشعر بالقرب منه، وكأن شعورها هذا يبقى أملاها حيا. أما الآن؟ ومضت في الردهة الى الحمام لتغتسل، وعقلها يفكر في التغيير الذي أعترى زوجها ولا تفسير له. ولقد أظهر فتورا نحو صديقه جو خلال الأيام الأخيرة من اقامته، فكان هذا أيضا أمرا لامبرر له، وكانت تيسا تعجز عن الاجابة اذا ما سألتها جو عن سبب ذلك. وقد أجابت مرة وهي حائرة:

* كان مغتبطا بأن التقى بك من جديد، وأوقن بأنه استمتع بصحبتك حتى الآونة الأخيرة.*

فقال جو في تسامح:

* لعل حالته هي السبب. من المفهوم أنه سيكون عرضة لتقلبات المزاج.*

ازداد بول بعدا عن تيسا، منذ اللحظة التي ودع فيها صديقه في المطار، فانقضى أسبوعان دون أن يقول لها كلمة رقيقة واحدة. وفضلا عن هذا أصبح نكدا، اذا جلس فهو صامت متجهم، والا فهو في مخدعه مستلقيا على السرير، والمصاريع الخشبية للنوافذ مغلقة، وظل مع الأيام متباعدا حتى عزمته أكثر من مرة أن تثير الموضوع معه،

ولكن شجاعتها كانت تخونها دائما. كان من الواضح أنه ما كان راغبا، وشعرت بأنه خليق بأن يجيبها برد جارح، لو أنها سألته عن سبب فقدانه الاهتمام بها. كزوجة!

والى تباعده، بدا أن بغضاء جديدة استولت عليه، فأخذت آمال تيسا تتداعى، حتى كاد اليأس يملكها، ولكنها راحت تتشبث باستماتة، فبالرغم من تباعده، شاركتها اهتمامها في مناسبتين، متخلفا عن مسلكه الخشن اللاذع:

كانت المرة الاولى حين ذهب الى جبل ترودوس إذ اقترحت هي الرحلة فوافق، مما ادهشها وأرضاهما. وبدا بول مرهف الحس ازاء الهواء النقي الصافي، الذي حذر اعصابهما معا، فقال وهما يتناولان غداءهما تحت شجرة صنوبر:

* هذا مكان بديع، ما مدى ارتفاعنا؟*

وتأملت كتاب دليل السياحة، ثم قالت:

* لسنا بعيدين عن قمة جبل الاولمب، وارتفاعه يتجاوز ستة آلاف قدم.*

فقال وهو يتناول كوبا من يدها، ويشرب:

* لا يبدو أن أيا من الناس هنا، فما سمعت أصواتا غير صوتينا.*

وجالت عيناها في السفوح وقالت:

* اننا وحيدان تماما، هناك حطاب عجوز على مسافة، ولكن لا يوجد سياح على الاطلاق!*

كان الوقت مبكرا، فقد انطلقا بالسيارة في الساعة الخامسة. وكانت الرحلة منعشة، وهما يرقبان نحو اللب البركاني للهضبة الجنوبية، وتألّق وجه تيسا جبورا، وزوجها يطري قيادتها بلهجة بدت لها غريبة:

* انك تقودين بحنكة خبيرة، حتى ليخال أي امرئ انك تعودت مثل هذه الطرق. ولست أدري لماذا ترددت عندما اقترحت شراء السيارة؟*

فقلت:

* الطريق المفضية الى دارنا كانت تخيفني *

ثم أردفت بتواضع:

* أي انسان يلم بقيادة السيارة يجد هذه الطريق بسيطة ، فهي

بلا وعورة الا حين نجتاز المنحنيات المفضية الى القرى *

واذ فرغنا من الغداء ، أخذنا يتجولان بين الاشجار ، وتمتمت

تيسا بصوتها العذب الجميل:

* يا لعبير الصنوبر ! أليس عجيبا ؟ *

فلمس بول ظهر راحتها بأصابعه ، وقال وهو شارد في

اشكاره:

* بلى ! *

كأنما كانت أصابعه تستطلع شيئا ، فأحست تيسا بعدم

ارتياح عجيب ، ولكنها - مع ذلك - شعرت بأن بول لم يكن

واعيا لما يفعل ، وعاد يقول بعد فترة:

* وورود الصخور أيضا لا بد أن هناك كميات كبيرة منها *

فقلت:

* انها في كل مكان ، ولكنها لن تلبث أن تختفي عما قريب *

قال:

* شذاها يختلف عن كل ما عرفت ، أنه شذى الورد ولكنه يبدو

وكأنه يخبرك بأنك فوق الجبال *

ولم تعقب تيسا وواصلت تجوالهما ويداهما متشابكتان ،

تقريبا ، ومع ذلك فما أوسع ابتعادهما ، أنهما يعجبان بأشياء

معينة مشتركة ، وينتشان بهواء الجبل البارد العليل ،

وبسكينة العزلة وطمانينتها وتساءلت تيسا:

* هل تود الصعود الى قمة جبل الأولمب ؟ الطريق جيدة *

فهمت:

* طبعا فلا بد أننا سنحظى بمنظر رائع *

انبعثت الكلمات بتلقائية طبيعية ، وشد شيء ما أوتار

قلب تيسا واتخذتا طريقهما الى القمة وتيسا تعيش - مرة أخرى

- في المحنة الرهيبة التي خبرتها ليلة ألمح جو الى أن بول

ربما يستطيع استعادة بصره ، وهمست لنفسها:

* لقد اتخذت قراري ، لن أفقدها ! *

ولكنها برغم ما حاولت لم تستطع الافلات من وخر ضميرها

الملح . لقد قال لها جو قبل أن يصطحبها الى المطار بساعة في

حرم ، ان عليها أن تتيح لبول مقابلة ذلك الاخصائي مهما تكن

النتيجة ، فلما تشبثت بعنادها قال وهو يوشك أن يفقد زمامه:

* هذا مسك أناني وضعيع ياتيسا ! مهما تقولين فأنني سأتصل

بالرجل شخصيا ، وسأعمل على أن يفحص بول ، وعليك أن

تعودي نفسك على هذا ! *

* لست أرى كيف تستطيع تدبير الأمر بدون معونة مني ؟ *

* بل ستعاونين ، عندما يحين الوقت ! *

قالت وقد اشتد شحوبها ، واضطرب عقلها وقلبيها:

* لن أعاونك ، لن أدع بول يعرف شيئا عنه ! *

ومن العجب أن غضبه تبخر ، وعاد صوته لطيفا مشفقا ، وهو

يقول:

* ستعيدين التفكير في الأمر ، انني موقن من هذا ، لا شيء الا

لأنك ... تيسا ! *

وتطلعت اليه والدموع تترقرق في عينيها ، وقالت وهي

ترتجف:

* انه رجلي ... ملكي ! لن أدعه يذهب . انني لقادرة على أن

أبصر له ، وسأفعل على الدوام ! *

فعاد يقول بذلك الصوت الرقيق:

* ولكنك لست سعيدة يا تيسا ! *

* أنا هكذا أسعد مني لو لم أخط به على الاطلاق *

وبرغم اطمئنانه ، وتغيير لهجته ، عاد - في النهاية -

يؤكد عزمه على الاتصال بالطبيب، قائلاً انه سيكتب اليها فور ذلك . وظلت صامتة، عنيدة . ولم يعودا الى هذا الموضوع . فهل ترى سيتصل جو بالطبيب؟ ما من شيء يمكن أن يفعله بدون تعاونها، وهي لن تسمح به !
وردها الى ما يحيط بها صوت بول:
لابد أننا أشرفنا على القمة
فقلت:

نعم، والمنظر من أروع المناظر كما قلت يا بول
واذ سألها أن تصفه له، اخذت تقول:

انها أشبه بخريطة بارزة . الى الشمال سلسلة جبالنا - جبال كيرينيا - وتبدو رؤوسها من هنا مدببة كما تبدو قاتمة، لأن المسافة تجعل السماء فوقها بلون الارجوان، كلابيل المنفسج، ولكنه باهت، اذا أدركت ما أعني . والى الجنوب تبدو قمم جبال ترودوس كالحراب الشديدة الميل، انك لتستطيع التكهون يا بول، بأن الثلوج اذ اُبت، تحولت الى سيول مثيرة، لأن التلال كثيرة الحفر والأخوار بفعل سيول سابقة، هل تكسو ترودوس ثلوج كثيرة؟
قال:

نعم، عادة وأن لم تهطل الثلوج كثيرا في هذا العام . على أن الناس يأتون هنا لممارسة رياضات الشتاء .

ومضت تصف السهول المكسوة بشجر الخروب، التي كانت تنبسط كالمروحة من التنوعات الخفيفة في السفوح، وتمتد على مدى البصر . وكانت تيسا تشعر بأنها موضع اهتمام لدى زوجها، وقد اختفت الالمبالاة، السخرية والازدراء . ولم تعد ظلال الكراهية تتجمع لتؤلف حائرا بينهما، كان يوم انسجام، أذكي روح تيسا فتمنت لو ظل كذلك .

أما المناسبة الثانية، فكانت في حفلة زفاف القرية، الزفاف الذي لم يقدر لجو أن يحضره . وقد سبقت

الزفاف طقوس الاعداد فاذا العروس - تنهيا - وكل رفيقاتها يحطن بها - في أبهى الثياب والزينة، بينما العريس يقص شعره لآخر مرة كأعزب، يحيط به عشرات من أصدقائه، يتفكهون ويضحكون، كل ذلك في مرح وعدم تكلف، وأخذ الرجال يرقصون حول حشية زينتها الفتيات بأشرطة في أركانها، وقذف بطفل ذكر الى الحشية، يتواكب عليها، قالا لخصوبة الزواج، كما كانت النقود تلقى اليها تيمنا، حتى لا يعرف العروسان الفقر أو الحرمان، وكان المرح أكثر انطلاقا بعد القران، والعروسان يغادران الكنيسة فيخطران في الطريق، والقرية بأكملها تتبعوهما . قالت تيسا لبول، وهما ينطلقان بالسيارة الى دارهما:

هل استمتعت بالحفلة؟

فقال:

نعم ولم يزد .

وفي اليوم التالي عاد لوجومه واكتئابه وعزلته، فجلس طيلة الضحى والعصر في الحديقة، في سروال قصير، وتعلين خفيفين وكأنما كان جسده الأسمر في مناعة من حرارة الشمس . لكم بدا موفور الصحة، وراحت تيسا تتأمله من الشرفة - دون أن يظن - متربصة لاي خطر قد يتهدده من الثعابين، برغم أنها كانت نادرة في تلك المنطقة .

* * *

وفي الايام القلائل التالية لازم بول غرفته مستلقيا على فراشه، ومصاريع النوافذ الخشبية مغلقة، فلم يكن

يغادرها الا في اوقات الوجبات، أو بعد الغروب، والهواء
عليل، ولقد دخلت عليه تيسا حجرته مرة، مجارفة بالتعرض
لضيقه وسألته:

هل تشد بك آلام رأسك؟

فصرخ فيها:

أخرجي .. وأغلقى الباب!

وأغلق الباب، فحجبت النور، ورجعت بخفة لتقف الى
جوار سريريه، تطل عليه، وفي أعماقها معركة محتدمة .. وكانت
تحاول تهدئة ضميرها بأن جو قد يكون مخطئاً، ولا احتمال
هناك لأمكان ارتداد البصر الى بول فمن القسوة اذكاء آماله
اذا كانت لن تلبث أن تهوي مهشمة:

واستباححت لنفسها أن تجلس على حافة السرير وهي تقول:

*أرجوك يا بول .. دعني أمكث معك .. انك تستلقي مستيقظاً،

وبوسعي أن أتحدث اليك ..*

فصاح:

لا أريد حديثاً، لاسيما منك بالذات!

وأجفلت لماذا هذا التخصيص؟ ولكنها تماكنت نفسها

وهمست:

*لا أطيق أن أراك هكذا .. أريد أن أكون معك، فلا تطردني

أنني سأجلس ساكنة!*

ولم ينبس ببنت شفة فترة حتى اذا تغلب على جفوته،

سألها:

ما جدوى هذا لك؟

وبعثت أملها لهجته فقالت برفق:

لا أريد سوى أن أكون .. أن أكون بقربك ..

وتمنت لو كان بوسعها أن تخفف عنه، وببئس مترددة متهيبة

مست جبينه، ولم يزعج اليد، لدهشتها، بل بدا كأنه ارتاح

اليها .. وتحتم:

لا تريدن سوى أن تكوني بقربي!

وغاب في أفكاره، أكانت خدعة من الضوء المتسلسل خلال

مصاريع النوافذ، أم أن شفتيه اكتسبتا رقة حقاً؟

جلست ساكنة، ساكنة، تتأمله وتتذكر ما استولى عليها من

شعور بأن عداً جديداً خامرته نحوها، فأثار صراعاً في نفسه،

واستعادت ما قاله جو بهذا الصدور .. وما لبثت أن لاحظت أن

جسم بول اختلج فجأة .. وكأنما استرخت كل عضلة فيه،

وتخلص من كل توتر وألم كأنه يعتريانه، ورفع يدا تحسست

الهواء حتى استقرت على يدها .. وبدا صوته لطيفاً وهو يقول:

أجلسين هنا، في الظلام .. لمجرد أن تكوني بقربي؟

فقالت بصوت متهدج:

*أوتر هنا على أي مكان آخر .. لا أريد ألا أن أكون حيث

تكون ..*

وتحسست أصابعه يدها وقد ارتسمت على شفتيه نصف

ابتسامة، وما كان من سبيل - في هذه المرة - لاغفال الرقة

التي سرت الى وجهه .. وقال:

*ألا تشتكين أبداً، مهما كانت معاملتي اياك؟ انك لا تتلفظين

بكلمة شكوى أبداً ..*

وحملت فيه لحظة، كانت حاله هذه جديدة عليها، وما لبثت

أن قالت:

بأي حق اشكو؟ أنني جئت اليك بمحض ارادتي!

أكنت تظنين انك ستحظين بحبي؟

وغص حلقها، فقاومت لتقول:

كنت أظنني سأحظى بحبك ..

فسحب يده، ولكنها ظلت تشعر بملامسها ورفعت يدها عن

جبينه .. وسألها:

*هلا أخبرتني ما الذي جعلك متأكدة من انك ستحظين

بحبي؟*

* أنت قلت - عندما افترقنا - انك مستعد لتقبل عودتي .. وما
خطر لي أنك كنت تأمل في الانتقام ! *

فتساءل:

* ولو خطر لك ؟ *

وافلتت بضع شعاعات من الشمس من خلال النوافذ فوقعت
على وجهه، وتوقعت أن يحجب عينيه، ولكنه لم يبد أدنى
عدم ارتياح، وتأكدت تيسا كذلك أن الألم رأسه لم تكن شديدة
القسوة، لأن اختلاجات الألم تلاشت من وجهه، وعاد يقول:

* أكنت تجيئين الي لو أن ذلك خطر لك ؟ *

تروت مفكرة، ثم هزت رأسها في حيرة، وقالت:

* لست أدري يا بول .. بل كنت أحيء يا بول فيما أظن، لانني
كنت - ولا أزال - أأمل أن تصفح عني يوماً، من جرائ .. *

وبحثت يده عن وجهها، وضغطت اصابعه شفتيها، يا
للحركة المدهشة! لقد تعمد الا يدعها تتم ما كانت تهم بأن
تقول، كان من قبل يستمرىء اسأها وهوانها، ويستعذب
جوارا انغماسها في الشعور بذنبيها !

وبارحت أصابعه شفتيها، وراحت تتحسس كل خط في
وجهها، وتنحدر الى عنقها فكتفيها ثم تمس في رفق
جبينها، ومتتبعه مفرق شعرها . وبددت الصمت زفرة مرتجفة
ندت عنه، كانت لحظة مثقلة بالتوتر، وبول في نوع من
الشروء، وتيسا تترقب في لهفة وقلق، وما لبث أن قال، وقد
عادت يده الى جانبه:

* أشعر للتو بأنني أحسن حالا، وقد توقف ألم رأسي . *

ثم استوى جالسا وقال:

* أتعرفين يا عزيزتي؟ أشعر برغبة في الخروج الى أي
مكان . *

فاقترحت متحمسة أن ينطلقا بالسيارة في جولة .

* * *

وغادر الفراش وعلى شفتيه ابتسامة، وعلى وجهه سماحة
ما رأتها من قبل، محنت كل أثر للخشونة والقسوة عن القسومات
المليحة التي اجتذبتها منذ لقائهما الأول، وطوقها بذراعيه،
وضمها في حنان جديد غريب . وكأنما كان يستجيب لدافع
كان في استحياء منه، بيد أن تيسا كانت قانعة، شاكرة لكل
ما يجود به .

وما هي الا ساعة حتى انطلقا بالسيارة مصطحبين
عداءهما . ما شعرت تيسا ابدا بمثل هذه السعادة منذ الفترة
السعيدة التي كانت تجهل فيها نية زوجها، فقد كان مفرط
الحنان، متحررا من الألم، وسألته وقد اجتازا وسط كيرينيا
في اتجاه البحر:

* أين نذهب؟ أمضي هكذا ونتأمل المناظر ؟ *

زلة نادرة ما كانت ترتكيبها، فحبست أنفاسها وكم ارتاحت
اذ رآته يبتسم قائلاً:

* هذه فكرة طيبة، فقد صادف شيئاً يبعث الابتهاج . *

أومضت عينا تيسا فما خطر لها أن تكون هذه هي النتيجة
عندما دخلت غرفته على وجل، تتوسل اليه أن يسمح لها بالبقاء
بجواره . لقد بدا خلال حديثهما - وهو يستلقي في الفراش -
انه يعاني من لامبالاة عقلية وانطواء مهجوم، تسلط عليه منذ
حادث التعبان، وكأنها فرضت رؤية ايحائية ذاتها عليه . ولم
تتمالك تيسا أن تسأل نفسها: * أترى حبها قد نفذ أخيراً
خلال نقطة ضعف في تكوينه، وما لبثت أن قالت:

* أننا نجتاز الآن مورفو وأشجار البرتقال بأسفة ولكن الثمار
غابت . *

ورمته بنظرة سريعة، فإذا ملامحه مرتاحة مسترخية
وأرضاهما انه كان يضارعها استمتاعاً بالرحلة، وعادت تقول:
* الخليج جميل يا بول، والبحر بلون السماء، وهناك ضباب
رقيق، شفاف، مهتز، ويبدو كأنه يطفو فوق البحر، أظن

ان اليوم سيكون حاراً ٠٠

أذا فلنذهب الى البحر ٠ هل أحضرت لوازم السباحة؟

انها في السيارة دائماً ٠ أتود أن أختار الآن بقعة؟

فيما بعد، عندما يشتد الحر فعلاً ٠

وواصل التجوال في السيارة وسألته ايذهبان الى اطلال قصر فوني فوافق، حتى اذا بلقا القصر، لم يجدا أحدا هناك ٠ وشعرت تيسا كأنهما أوتيا عالماً خاصاً بهما، وأخذت تصف له المعالم وقالت:

أنا على قمة تل، الموقع ممتاز فالبحر تحتنا، وجبال ترودوس في الناحية الأخرى ٠

وبعد طوافهما وجدت تيسا بقعة مناسبة للغداء، فبسطت سجادة على الأرض، وكان الصمت الشامل يلف المكان فلا حركة، ولا ضجة، حتى وجدت تيسا نفسها تتكلم همساً:

الشطائر يا بول ٠٠ سأضعها هنا أمامك، أنتناول شراب الليمون، أو شراباً ساخناً؟

أي شراب ساخن لدينا؟

شاي وقهوة ٠٠

وفضل القهوة تم فطن الى لهجتها، فقال في عجب:

لماذا تهمسين؟

وترددت في السكون ضحكة صغيرة رنانة، وقالت:

رهبة المكان ٠

ضحك بول فحملت مشدوهة، هل سمعته يوماً يضحك هكذا؟ بل ان كلا منهما لم يضحك منذ اطلعها بول على غايته من الزواج منها، وظلت تحملق وهي تتبين جاذبيته كرجل، فسألها:

فيم تفكرين؟

ثم اردف شبه أمر:

أخبريني!

ولاول مرة أحست بسيادته غير ممتزجة بكراهية، فقالت:

لاشيء ٠٠

قال:

انك بعزوفك عن اطلاعي على افكارك تثيرين فضولي ٠

لم تجد مهرباً، فقالت:

قد يفسد ما سأقول يوماً ٠

ولكنه ألح، فقالت:

خطر لي أن كلامنا لم يضحكك كثيراً ٠

وانتظرت موجسة، فأدهشها الا يصدر رداً لاذعاً، ولا جواباً

خشناً يذكرها بأنه ما من شيء يستحق الضحك ٠ بل أنه

استدار نحوها فأذهلها أن ترى امارات ندم تغشى وجهه

الوسيم ٠ وقال في لهجة رقيقة:

لم نضحك كثيراً ٠٠ لعلنا نبدأ الان في الضحك ٠

وعمرها انفعال عاطفي أعجزها عن الكلام ٠

* * *

وفي طريق العودة، وجدت خليجاً جميلاً فسيحاً، ثم استلقيا

تحت الشمس، لكنهما لم يتبادلا سوى كلمات قليلة، خلال

عودتهما في الاصيل، استولى عليهما سكون غريب أخذت تيسا

تحاول تبديده بوصف بعض المناظر الطبيعية التي حفت

بالطريق، فقال بول:

*حديثك عن هذا الطريق يجعلني أخاله من أجمل طرق

الجزيرة!*

وما لبثت أن جنحت بالسيارة الى جانب، وأوقفتها قائلة:

* أشجار الرمان تمتد على طول هذه المنطقة، وتبدو كأنها
ضباب بديع الحمرة، ساحضر لك زهرة *
واقترنت مع الزهر وردة برية، أودعتها البيعة عبيرا
فواحا ملأ السيارة وتلمس بول زهرة الرمان ثم تناول الوردة
فقربها الى وجهه، وبعث التغيير الذي طرأ على ملامحه شعوراً
غريباً لدى تيسا تولتها رغبة طاغية في أن ترى ما وراء
نظارتها القاتمة التي أصبح يرتديها باستمرار!

* * *

كان اليوم مثاليا ولكن تيسا صدمت حين ذكر بول - بمجرد
وصولها الى البيت - انه اعترزم أن يأوى لغرفته. وذهب الى
غرفته تاركاً أياها وفي نفسها شعور بأنه عاد يعاني من
الصراع الداخلي!
واستلقت على سريرها مستيقظة ثم جلست محاولة أن تقرأ،
لكنها لم تفقه شيئاً - ترى أكان بول نائماً؟ وقادها دافع طاغ
للخروج الى الردهة، وأوحت اليها غريزتها بأنه هو الآخر كان
مستيقظاً فوقفت عند بابه في هدوء، وأرهفت سمعها، لم
يكن ثمة صوت ما. ودفعت الباب بهدوء، كان بول يقف أمام
النافذة المفتوحة، لا يكسوه سوى سروال البيجاما، وكأنه
تمثال على خلفية من سحب يتخللها القمر ورأسه مرفوع في
شهم وكتفاه مستقيمتان في اعتداد، وهواء الليل العليل
يداعب وجهه، وينثر شعره الاسود في فوضى...
ظلت تيسا طويلاً تتأمل زوجها الساكن. فجأة التفت،
فأدركت أنه أحس بوجودها، وأسرعته تهتف باسمه، لكنه

لم يرد، لبرهة، ثم أجاب في شيء من الحدة والضيق:
* ماذا تفعلين هنا؟ وجرحته لهجته مشاعرها، ولكنها قالت:
* لم يواتني النوم *
ثم سارت الى جواره، وقالت:
* أنت أيضاً لم تستطع أن تنام *
فتساءل وقد شعرت في لهجته بشيء من العجرفة:
* وبعد؟ *
قالت:

* هل أستطيع البقاء معك فترة وجيزة؟ *
تصلب جسمه، فعسست: هل عاوده الصراع؟ كان يناضل
ويتمزق في نضاله، فقالت هامسة:
* قد يحسن أن أنصرف، أنني أسفة إذ ضايقتك يا بول *
وكانت قد بلغت الباب حين تكلم، وبدا لها أنه كان ينقزع
الكلمات:

* كلا، تعالي *
ورجعت ببطء، ولكن في لهفة سارت اليه وقبل أن يفتننا،
كانت بين ذراعيه، يضمها في رفق وحنان، متمتماً:
* يا فتاتي الصغيرة!
وتسرب الصراع في زفرة عميقة مرتجفة *
وغمغمت في خفوت، بعد فترة طويلة، ونور الفجر يتسلل:
* بول أترى هذا جزء من العقاب؟ أتراك تعبت بي من جديد؟ *
فأشدت تماسك ذراعيه حولها، حتى أحست بوجيب قلبه فوق
قلبها وتمتم في رفق ولين *
* ليس هذا من العقاب * * إن أعبت بك ثانية *

بذل قصارى جهده
ورفع يدها الى صدغه قائلاً:
هكذا أفضل.

وتنهَّد، ففص حلق تيسا، كان جو قد نفذ فكرته، واتصل
بالطبيب الذي أبدى اهتماما بالغا، وأعرب عن رغبته في رؤية
بول، وكتب اليها جو، بعد رحيله بعشرة أيام:

"أنني واثق انك أعدت التفكير. واذا أخبرتني بموعد
تستطيعين فيه احضار بول الى لندن، فاني سأدبر لقاءه
بالطبيب، ويدعى جون ريد، وهو مهتم الى درجة أنه وعد بأن
يفحص بول في أي وقت، أخبرته كل شيء عن الحادث، وما
أعقبه من فقدان بول البصر. ومن الطبيعي أنه كان متحفظا
في تعليقاته، ولكنه اوحى لي بأنه متلطف الى أن يفحص بول.
فلا تترددي يا تيسا، وأتوقع أن ترددي عاجلا*.

كان بول اذ ذاك قد تحرر من آلامه، فأهملت تيسا أمر
الرسالة. ولكن هاهي ذي الآلام تعاوده وقالت له:
"هل أغسل رأسك بالماء البارد؟ لقد خفف عنك هذا مرة من
قبل!"

*فابتسم بول في وهن، وتمتم:

أفعلني اذا شئت يا عزيزتي.

وأدركت ما وراء كلماته، وضغطت يدها، ثم قال:

*تبين لي أنه ما من شيء يخفف عني، ويجب أن أروض
نفسي على تعود هذه الآلام وان كنت لا أفهم لها سببا*.

وسحبت يدها وقالت في رفق، وهي تحاول بدون نجاح أن
تقصي عن ذهنها ما ورد في رسالة جو:

أتود أن تخلد الى النوم؟ هل اتركك يا عزيزي
فقال:

*لفترة وجيزة، فاني واثق من أن هابي سيزول بعد قليل ثم
أردف:

٩ - صندوق البريد

كان للدفاء والوثام اللذين خيما على علاقتهما - من ذلك
اليوم - آثارها عليهما فاذا تيسا تتفتح مزدهرة أزدهارها في
الاسابيع الثلاثة الاولى لزواجها، دون أن تحفل بأن ما أولاها
زوجها من حب وحنان انما كانا في الواقع موجهين لاختها.
فهي حين بدأت هذا الانتقال لشخصيتها - أول مرة - كانت
قد هيأت نفسها لتقبل ما ينالها شاكرا ممتنة. أما بول فقد
بدا - اذ بسط أخيرا عفوه على لوسيندا - كما لو كان قد ازاح
عنه عبئا ثقيلا. وانعكس هذا - أول ما انعكس - على اختفاء
آلام رأسه. على أنها لم تلبث أن عاودته ثانية، بمجرد أن
أقنعت تيسا نفسها بأن تلك الآلام انما كانت متبعثة عن
الارهاق العقلي والنفسي بدون أن تكون ذات صلة بعينيه.
وكان راقدا حين جاءت اليه بعد الغداء - ذات يوم -
وسألته:

هل الآلام شديدة يا حبيبي؟

قال:

أجل يا عزيزتي.

فقالت:

يبدو أن الصيدلي غير قادر على اعطائك دواء ناجحا.
فمد يده سعيا الى يدها قائلاً:

* هذه الحياة كثيفة بالنسبة اليك . سنخرج الليلة لتناول العشاء في ماريه مونتي . أيروق لك هذا . *

هكذا كان بول - منذ زيارتهما الى اطلال فوني - شديد الرعاية لها فبادرت قائلة:

* لا بأس، اذا كنت أحسن حالا يا بول . أما عن حياتي فاني في كامل السعادة والقناعة لمجرد وجودي معك ! *

* * *

وبعد ساعة كانت تيسا في الفناء المكسو بأشجار الصنوبر، تتمشى مشغولة البال، كانت سعيدة، ولكن، هل هو سعيد؟

وهرت الدقائق بطيئة، مليئة بالشجن، حافلة بالصراع بين عقلها وضميرها . كان جو متفائلا، لا اهتمام الطبيب بحال بول

وكان قلبها يصرخ ضد هذا الاتجاه، عندما ظهر بول وكأنه ما عانى من الصداع طيلة عمره، فطرحت عنها هواجسها وترددتها، وخفت اليه وهي ترفع الشكر لله، وسألته:

* هل أنت أحسن حالا؟ انك تبدو بخيرا *

واتجه الى مقعد، مسترشدا بعصاه، وجلس قائلا:

* اجل . زال الألم بمجرد لعله الحر ! *

فقال متشبهة بتعليقه:

* اجل، قد يكون الحر هو السبب . هل أحضر لك شرابا؟ *

قال:

* كلا يا حبيبتي، بل أقرأ لي . *

ودخلت الدار لتحضر الصحيفة فاذا معها رسائل أحضرها تاكي من القرية، وكاد قلبها يتوقف اذ تبينت خط جو

على احداها وبهد مرتجفة فضتها، فوجدت فيها ورقة واحدة، بداها جو بدهشته لأنه لم يتلق منها ردا، ثم مضى يقول:

* اتصل بي الطبيب في الاسبوع الفائت ثم عاد يتصل هاتفيا اليوم، وبدا مستاء فهو كما قلت لك تواق لأن يفحص هذه

الحالة . وقد ألح في أن يرى بول وهذا ينبغيء بأنه متفائل . فأمل أن تفعل شيئا . ليس لك يا تيسا أن تحرمي بول من

فرصة . اكتب لي فورا . *

وسحقت الرسالة في قبضتها، وتناولت الرسالة الأخرى فاذا بها من أبيها، ثم حملت الصحيفة القبرصية - التي تصدر

بالانكليزية - وخرجت الى زوجها . وكانت الصحيفة ورقة واحدة، وسرعان ما أتت عليها ثم دفعت جهاز الراديو الى

زوجها، تاركة له أن يهتدي الى المحطة التي يختارها، فانبعثت أنغام البزق خافتة، وتناولت تيسا رسالة أبيها، فاذا

بها ينبئها بزفاف لوسيندا، متفاديا بكل لباقة أن يذكر ما اذا كانت أختها افتقدتها . كانت لوسيندا تعلم أن تيسا تعمل

بالتدريس في قبرص، ولكن لم تكن لديها فكرة عن مكان بول . كانت تعتقد مثل الكثيرين أنه يعيش في عزلة، في

أحدى الجزر اليونانية . ومضى أبوها يقول:

أما وقد ظهر أن زواجك موفق، الا ترين أن نطلع امك على السر؟ لقد كان الخداع من أجلها، لتجنّبها القلق، ولكني لا

أرى داعيا - مادمت سعيدة - لأن تظل جاهلة بزواجك . *

التفت اليها بول متسائلا:

* ماذا تفعلين؟ انك هادئة تماما ! *

وكرهت أن تكذب عليه، ولكن الخطاب لم يكن يحتوى على ما يستحق أن تقرأه له، فقالت:

* انني أفكر فحسب ! *

ولم تدر أكان صوته ينم عن فضول، أم أنها كانت واهمة، اذ سألتها:

* فيما تفكرين؟ *

وقالت صادقة في هذه المرة:

* في أبي وأمي *

ورفع حاجبيه في دهشة بسيطة، وقال:

* فيهما وحدهما؟ وأخوتك، وأختك؟ *

فقالت وقد بدأت تلتزم الحذر:

* أنتي أفكر فيهم طبعاً، ولكني في هذه اللحظة كنت أفكر في

أبي وأمي *

وصمت برهة، منصتا إلى زقزقة العصافير، ثم سألتها:

* ما رأيك في أن نزورهم؟ سيكون التغيير مبهجاً لنا.

ونستطيع كذلك أن نزور بعض الأصدقاء *

وحول رأسه نحوها، وكأنه يسألها ما سيصدر أثر كلامه!

فقالت:

* الأصدقاء؟ كلا لا أريد زيارة انكلترا *

فهتفت:

* بتاتا؟ ولكن يا حبيبتي *

وأسرعت تقطع عليه الكلام قائلة بصوت مرتجف، وهي

تحاول تمالك جأشها:

* ما عنيت هذا... سنذهب إلى انكلترا طبعاً، ولكن ليس الآن

يا بول، في العام المقبل!

وتفرست في وجهه الأسمر القوي وكأن فسحاته نحتت لتتم

عن جمال ونبل، ولغير ما سبب واضح رأت العينين الثاقبتين

تحدجانها في شيء من الضيق المتعالي، وسمعت لهجة

الازدراء الخافتة التي كان يتحدث بها عنها إلى جو في الحفلة

التي أقامها هذا، في انكلترا. لقد أصبحت العينان تتواريان

خلف نظارة قاتمة، وكان صوته يفيض حناناً - المفترض أنه

موجه إلى لوسيندا - حين قال:

* حسناً جداً يا حبيبتي، العام المقبل، إذا كانت هذه

رغبتك *

وعمرها الارتياح، لها أن تطمئن حالياً أما المستقبل...

فلتدعه للقياب!

* * *

ووصل خطاب آخر من جو، في الأسبوع التالي... لم يحاول

جو فيه أن يجاملها، بل اتهمها صراحة بالانانية، فبادرت

بالكتابة إليه في اقتضاب، ذاكراً أنه ما من شيء يمكن فعله

وان من القسوة عرض بول على الطبيب، ليواجه في النهاية

بأن لا أمل لعلاج حالته!

* * *

كان حر نهار يوليو (تموز) قاسياً، فاقتربت تيسا أن يقوما

بحولتهما على المتاجر بسرعة، ثم يفادران المدينة بسرعة،

وكانا قد ذهبا إلى نيقوسيا، لابتياح بعض الثياب لبول.

وجاء عامل أحد المتاجر لبول بقميص، فقالت تيسا:

* ان القميص أخضر، هل تريده أخضر؟ *

فسألتها:

* أي درجات الخضرة؟ *

قالت:

* أخف قليلا من الزمردى *

وحانت من تيسا التفاتة الى البائع، فاعتصر قلبها أن لاحظت أنه كان ينظر الى بول في دهشة يخالطها الرثاء، وكأنه يقول:

* لماذا يعتني هذا الأعمى نفسه بتعرف اللون؟ *

ودفعت الى بول بقميص آخر، قائلة:

* هاك آخر أفضله عليك، أنه زيتوني اللون، والقداش أفضل *
فتحسسته أصابعه ببراعة لا يعرفها سوى المكفوفين، وقال:

* نعم، هذا أجود ولكن، اخبريني باللون تماما *
واختنق صوتها، وترقرقت الدموع في عينيها، ما رأت

زوجها ابدا عاجزا الى هذا الحد، فقالت باقتضاب، وهي تلاحظ البائع من جديد:

* أنه يناسبك *

فقال:

* سأخذه إذا، أية الوان أخرى هناك؟ *

وامتدت أصابعه نحو مائدة العرض، فدفعت اليه بقميص
وإذا به يسألها:

* أهذا أزرق؟ *

وارتعشت شفتاها، ولم تستطع الكلام، لماذا يداخلها هذا الشعور؟ لكم ابتاعا من أشياء - من قبل - ولكن بول كان دائما يعرف ما ينتفي تماما، وبادر البائع بالاجابة، هذه المرة:

* أنه أزرق *
ثم عرض قميصا آخر، قائلا:

* هذا أرخص سعرا، ولكنه ذو لون جذاب *
فقالت تيسا:

* انه أرجواني *

هتف بول: رباه! كلا سأخذ القميصين الآخرين *

وقبما هو يدس يده في جيبه ليخرج نقودا، ارتطمت كتفه بدمية كانت بجواره، ومن الواضح أنه لم يدر ماذا أوقع، وأسرع البائع يرفع الدمية، بينما وقفت تيسا ترتجف من رأسها لآخمص قدميها، وهي تراقب وجه بول وقد تدافعت اليه الدماء، وتحسس الهواء ليتبين ما حدث، فنقضت عنها الجمود وقالت:

* لاشيء يا حبيبي * لم يحدث أي ضرر *

فقال بصوت أجش:

* لنخرج من هنا، وعودي بي الى البيت! *

ولم يشأ الانتظار ليأخذ القميصين، والقت تيسا وهي تأخذ بيده تقوده الى الخارج بنظرة اعتذار للبائع.

* * *

ظلت ذكرى هذا الحادث تلازمه طيلة الطريق الى البيت، ورأته تيسا مرات يحجب الضوء عن عينيه، بالرغم من ارتدائه نظارته. كان من الواضح أن رأسه يوءلمه إذ توالى الاختلاجات على وجهه، وابيض ركننا فمه وقالت تيسا أخيرا:

* هناك مقهى يا بول، أتحب تناول شيء من القهوة؟ *

وتوقعت أن يرفض، ولكنه لدهشتها وافق، وجنحت بالسيارة الى ظل بعض النخيل أمام المقهى، وخف لاستقبالها شاب يوناني أنيق، أخذ ينقل بصره بينهما في فضول، وهو يبتسم لهما، وجالت تيسا ببصرها داخل المكان. لم تكن ثمة نساء، بينما حملق فيها الرجال، ولكنها كانت قد اعتادت

هذه النظرات، وقال بول وهو يتحسس موقع المقعد ويجلس:
* أرجو أن تحضر لنا قهوة، قدح قهوة تركية، وقدح قهوة
بالحليب.*

وقال الشاب، وهو يقدم اليهما القهوة:

* من أي أجزاء من انكلترا جئت؟* فأجابته تيسا. وتلكا
لحظات يجاذبها الحديث. وعندما أن أن ينصرفا، رافقهما
حتى الباب وأخذ يلوح لهما حين انطلقت السيارة. كانت هذه
الفترة قد ساعدت بول على التغلب على جراحه، ولكنه ظل
حتى وصولهما الى البيت لا ئذا بالصمت. وكانت تيسا كذلك
واجمة، فان حرج زوجها ألمها كما لم يؤلمها شيء من قبل.
كان عجزه وهو القوي الشخصية والبدن خليقا بأن يمزقه
بقسوة!

وقال بول اذ دخلا البيت:

* سارقده. ولست أتوقع أن أنام، ولكن ناديني في موعد
الشاي.*

كان مهزوما، مستضعفا، فلم يداخل تيسا شك في مدى
عذابه العقلي والبدني. وكانت الرسالة التي كتبتها لحو في
حقيبتة يدها، وقد شغلها ما حدث عن أن تسلمها للبريد
فأخرجتها من الحقيبة، ومزقتها، وألقت بها الى سلة
المهملات. ثم كتبت رسالة أخرى، خشيت أن تتراجع عنها،
فأسرعت الى القرية لتودعها البريد. وبمجرد أن فعلت وقفت
تحملق في صندوق البريد - عند المقهى - وقد استولى عليها
ذهول عجيب.

ولم تدرك كم من الوقت قضت في وقفها، ولكنها فجأة
فطنت - بشعور مبهم - الى حافلة الرجال الجالسين امام
المقهى يلعبون طاولة النرد حتى سائق الحافلة - التي أقبلت
ببعض السياح - أخذ ينظر اليها، متغافلا عن سياحه. وتمهلت
امراتان تعتلان حمارا بينما وقف عدد من الاطفال تحت شجرة
وارفة ينظرون في استحياء، وكأنهم يتساءلون ما حصل لها

اذ وقفت تنظر الى صندوق البريد نظرات زائفة!
وتصرخ وجهها، وتحركت في الشارع القروي الضيق، تحف
به البيوت العتيقة التي كانت الزهور تتألق في حدائقها،
وعبير الورد يتضوع حولها، وما لبث أن احتجبت الرؤية عنها
وراء الدموع التي انبعثت من عينيها، أتراها كافحت طويلا
لتظفر بحب زوجها، لا شيء الا لتفقدته سريعا؟ ماذا يكون رد
الفعل لديه ازاء خديعتها؟ لقد استغلت نكبته في بصره وعجزه
لتظفر بما كانت تشتي منذ التقائهما الأول واستبد بها
الذعر، وهي تدرك أنها لن تقوى على أن تواجهه. لقد أوشك
أن يعذبها حتى الموت مرة، وهو كفيل بأن يفعل ذلك مرة
أخرى، ولكن تعذيبه - في هذه المرة - سيكون أقسى.
سيسوطها بعبارات الاستهجان والاستهزاء والازدراء. فلا بد
أنه سيستشيط حنقا اذ يتبين أنه تزوج من فتاة لم يكن يميل
اليها، بل كان يراها خلوا من الجاذبية في كل ناحية، وكانت
تطارده بعينيها عندما كان خطيبا لاختها!

كلا، لن تستطيع أن تواجهه ابدا، ولكن ما الذي ينبغي أن
تفعله؟ وأوحى اليها الغريزة بمهرب، خلال الطريق الذي
هربت خلاله سابقا السعي الى عمل في الخارج. كان هذا هو
المهرب الوحيد المفتوح أمامها. الطبيب قد لا يستطيع مساعدة
زوجها، وما من شيء يؤكد نجاح الجراحة اذا هو أجراها.
ولكن عليها أن تستعد!

* * *

كان بول نائما، حين بلغت الدار، ولم يكن موعد الشاي

قد أقترب، فاستقلت السيارة وانطلقت الى كيرينيا وما كانت
قد زارت النادي القروي من قبل، لكنها تعلم أن جميع الصحف
الواردة من انكلترا فيه .

ولم يضايقها أحد بالسؤال عما اذا كانت عضوا بالنادي،
حين دخلت واجالت بصرها، وما لبثت أن وجدت بغيتها،
فجلست الي احدى الطاوات وأمامها ملحق التايمز التعليمي،
وفي يدها قلم وورقة، وراحت تتفقد الحناصب الثاغرة
لمدرسين في : كندا . . استراليا . . فنرويا . . هونغ كونغ . .
أجل، هونغ كونغ !

١٠ - الضوء الجديد

ضوء النجوم فوق الجبل، والنسيم المتضوع بشذى الصنوبر،
وقصر يسري في سماء صافية متألقة، وأصوات صراصير الحقل
في هواء الليل الساكن، ما أكثر ما ينطبع في الذاكرة، وتيسا
واقفة عند سياج سطح الدار، - مستغرقة في الأسى - ترى
منظر أشجار السرو والصنوبر والزيتون والخروب والنخيل
المتمايلة، وتردد لنفسها:
عدا الرحيل ولا عودة!

وحل الحنان محل الأسى في عينيها اذ وقعتا على بول يصعد
الدرج، منتصب الرأس بقوامه الخفيف الحركة، الذي أثار في
قلبها رعشة خوف، فدعت الله - في صمت - أن يكمل العلاج
المقبل بالنجاح . . فأن جون ريد عندهما فحصه في المستشفى
بلندن - قبل أسبوعين - اطمأن الى أن العصب لم يصب، وان
العلاج - بدون جراحة - كفيل بأن يرد النظر، ولقد قال في
تحفظ لست أعد بشيء في أجد ما يبرر التفاؤل بنتيجة
العلاج الذي سأعطيك اياه .

ولم يتخذ بول قراره بعجلة خشية تصدع قلبه من جراء فنيل
جديد، فعاد الى قبرص دون أن يدرك (سوى جو) انهما زارا
انكلترا . على أن بول لم يلبث - أراء الحاج زوجته -

أن قبل أن يسلم نفسه ليدي جون ريد *

قالت تيسا:

أنا هنا!

وبلغ بول السطح، فوضع اصبعاً على السياج، يسترشد به، حتى وصل إلى تيسا وعقدت ذراعها في ذراعيه، قائلة:
رائحتك جميلة!

فأرسل ضحكة صافية، لا يثقلها هم، مما جعلها تدعو من جديد - في نفسها - ألا يفشل العلاج وقال:
هذه رائحة الكولونيا بعد الحلاقة!

وتطاولت على أصابع قدميها، لتحك أنفها بخده قائلة:

نعم... أنها لطيفة!

قال:

وكذلك أنت!

وطوقها بذراعيه، وقال:

لن البث أن أراك قريباً، يا زوجتي العزيزة الحلوة!

كانت في لهجته رنة غريبة، وهزت تيسا أفكارها لتفريق، لا بد أن الغرابة منبعثة عن الأعصاب، والتوجس، ولكنها خلال الأسبوعين المنصرمين، خالت أنها تلمس هذه الرنة في صوته كلما تحدث عن العلاج المقبل، واحتمال استعادته بصره ونحيفم:

يا حبيبتي... يا جميلتي... لكم أهفو لرؤية وجهك!

والتصقت به، وطوقت عنقه، أمي ليلتهما الأخيرة معا؟ آخر ليلة يضم فيها بين ذراعيه جميلته لوسيندا، قبل أن ينجلي عنه الوهم؟ يا جميلتي! أي... يلعبها... أو لعلها

التي...
ظلا في وقفتها برهة، وكل منهما مستغرق في أفكاره، وسألت تيسا نفسها: *تري ماذا يفعل لو أنه علم أنها حزمت معظم أمتعتها وأرسلتها إلى أنكلترا فعلاً؟* ماذا يقول لو

علم أنها - في اليوم التالي لدخوله المستشفى في لندن - كانت في مقابلة بطرف آخر من لندن، من أجل منصب سينقلها بعيداً عنه إلى الأبد!

وقال بول أخيراً:

حدثيني عن الليل، أحس الهواء غليلاً ونقياً ومعطراً. أزيز الصراصير أسمعها، وصيحات خفاش الفاكهة، ولكن ماذا هناك غير ذلك؟
فقالت:

*بدر مكتمل يتقلب بين السحب، أجل هناك سحب يا بول ولكنها فضية. والنجوم برك دقيقة من البلور، ولون السماء بين السحب أرجواني عميق، تتخلله أحياناً مسحات من اللون البنفسجي الزاهي، أحسب مصدرها شعاع القمر وهو يتنقل بين السحب المتباينة الكثافة. وسكنت، إذ أفلتت منه ضحكة صغيرة، وقال:

سواء أبصرت أم لم أبصر، فستظلمين دائماً يا حبيبتي تصفين لي هذه الأشياء!

دائماً، ما أقل ما كان يعرف! ومضت في الوصف قليلاً، ثم أمسكت، وضحكت قائلة:

أنها ليلة شاعرية حقاً يا بول!

كان توتر أعصابها قد بدأ يؤثر على صوتها، كانت عاقدة العزم على أن تعيش هذه الليلة بالذات، وتكتنزها، وتنسى ما قد تأتي به الأيام، من لوعات، ومن سنين خاوية! وتحسس بول وجهها وعينيها كان يتوقع أن يلمس دموعاً، وسألها:

ماذا بك يا غرامي؟

لاشيء... ما الذي يدعوك للسؤال؟

صوتك، صوتك العذب، فيه حزن!

فاصطنعت ضحكة، وقالت:

ليس حزننا وإنما أنا قلقة بطبيعة الحال!

فتساءل:

* بشأن العلاج؟ مهما تكن النتيجة، فسيظل كل منا للآخر *

فتمتمت، بالاعتداد الذي تدرك انه يرتقبه منها:

* نعم يا بول، كل منا للآخر *

قال:

* ولو اخفقت، ووضعت اصبعاً على شفتيه، فنحى يدها بلطف

ليتم كلامه:

* فستظلين تبصرين لي، وترشدينني *

فأهابت به صارعة:

* لا تتكلم عن الاخفاق، الطبيب كان شديد التفاؤل، ذكراً أن

تغيراً ما قد حدث وأنه بادرة أمل *

فقال محذراً:

* خطر الغثل موجود دائماً في مثل هذه الحالات، انني مليء

بالامل طبعاً، لكني - في الوقت ذاته - عميق الادراك بأنها -

مقامرة!

مقامرة وخسارة بول فيها كسب لها هي! ولكنها لم تكن

راغبة في الكسب، واغمضت عينيها، يجب ألا تبكي الليلة،

الليلة بالذات! وأراحت رأسها الى كتف زوجها، فضمها

محتويها اياها وكأنه يحميها، ولبثا هكذا فترة طويلة.

غادرا البيت مبكرين في الصباح التالي، وقد ران على تيسا

استقرار حزين لآزمها طيلة الاسبوعين الاخيرين، ولكنها

لم تسمح لدموع القنوط أن تنطلق الا حين أوقفت السيارة في

المطار، عند عودة بول سينقل السيارة غيرها، شخص آخر

سوف يقودها عند عودة بول، أو لعل بول نفسه هو الذي

سيقودها، لأول مرة منذ أن حرمه الحادث حبيته وابصاره!

استقبلها جو في مطار لندن وقبل أن تفتن تيسا لشيء

كانت تغادر زوجها في المستشفى، فقد كان لزاماً أن يمكث

تحت الملاحظة لمدة قد تكون أسبوعين، ولتيسا أن تزوره

يوميًا.

سألها جو - وهو يقلها بسيارته من المستشفى - عن

شعورها ازاء العلاج، فقالت:

* انني راحلة... أعني اذا كان العلاج ناجحاً، وأنني لأشعر بأنه

سيكون ناجحاً!

* هكذا أشعر أنا أيضاً ولكن، ماذا تقصدين بأنك راحلة؟

ثبتت عينيها على الطريق الممتدة، وقالت:

* بول لن يريدني، فيجب أن أرحل قبل نزع الضمادات!

قطب جو جبينه، وقال:

* ليس لك أن تهربي من زوجك هكذا، الى أين تذهبين؟

* تقدمت لمنصب في الخارج.

* بيتي السماء كيف تعرفين أن بول لن يريدك؟

كان وجهها شديد الشحوب، واستعادت كفاها ونضالها

لتظفر بصفح زوجها عنها لشيء لم تكن مرتكبه، وشعرت

بسخرية لدورها، فقد أستعادت للوسيندا الحب الذي فقدته

بالجحود والقسوة، والاسوأ ان لوسيندا ما كانت لتفيد من هذا

الآن، وهذا ما زاد تيسا مرارة وحسرة، وتمتمت:

* انه يحب لوسيندا؟

* ما جدوى هذا له الآن؟

قالت مصححة:

* تعني بل أي خير سيعود عليه من ذلك! اذا لم يكن قادراً

على أن يحظى بلوسيندا فلا يعني هذا انه سيرتضي بديلة بها
ويظل زوجا لي!

*بديلة؟ ان اليونانيين لا يقصون عنهم زوجاتهم بسهولة،
فالطلاق نادر بينهم.*

وفكرت قليلا، ثم قالت:

*ربما لا يطلقني، ولكنه ان يبتغي العيش معي، من جراء كل
هذا.*

فهز كتفيه، مدركا أنه لن يصل الى اقناع تيسا بشيء،
وهي في حالة كهذه، وقال بعد قليل:

لنتناول شيئا من الطعام قبل أن أقلك الى البيت.

طعام؟ وشرد ذهنها الى ماريه موتسي، والامسيات
الشاعرية، عندما كانت تتناول العشاء مع بول هناك،
والأضواء، والموسيقى، والجزر الصخرية والامواج المتهاكة
على الشاطئ، وضوء القمر ينعكس عليها. ترى هل سيذهب
بول الى هناك مرة أخرى؟ طبعاً، فقد كان ذلك المكان مفضلاً
لديه. ولكنه - في المرة المقبلة - لن تكون معه لتبصر له، وان
كان لا يحتاج اليها، اذ ذاك.

أقلها جو الى البيت بعد أن تناولا الطعام، ووعدها بأن
يوافقها ليصطحبها للنزوة من ان لآخر، خلال الأسبوعين
التاليين، فما ينبغي أن تجلس في البيت مستسلمة للاكتئاب!
وما كان ثمة وقت للاكتئاب الا في الليل، عندما يزوغ منها
النوم. ذلك انها كانت قد ظفرت بالمنصب الشاغر في هونغ
كونغ، وقيل لها أن عليها الذهاب بمجرد أن تدبر أمورها،
وكان موعد رحيلها يتوقف على مدى سرعة استعادة بول
بصره، فقد اعترمت أن تبقى مع زوجها حتى اللحظة الأخيرة،
فلا تتركه الا قبيل نزع الضمادات عن عينيه. لذلك كانت
تشغل كل وقتها بالاستعداد للرحلة، واكمال تدابير الاستقرار
بعدها، وزياراتها للمستشفى، ولكم حاولت - خلال العلاج -

ان تظهر بمعلومات من الطبيب، ومع انها لم تستطع
استدراجه، شعرت بتفاؤل.

* * *

وفي اليوم الذي حددته للرحيل، سمعت تيسا - في ابهام -
صوت سيارة تتوقف، وكانت مستفرقة في عملية حزم كل
مستلزماتها التي تناثرت على أرض غرفة الجلوس في بيت
والديها، فضلا عن الكتب، وأدوات التعليم والشرح، ووقفت
أمامها في الباب ترقب الفوضى، وتهز رأسها مستنكرة ثم قالت
في أسي:

ترى كم مرة سنشهد كل هذا؟

*أنا جواة آفاق يا أماء.. وأحسبني سأظل هكذا حتى
تفعدني السن عن العمل في الخارج!*

ماذا تراها تفعل اذ ذاك، بعد عشر أو خمس عشرة سنة؟
سيكون الجرح قد اندمل ولا بد فيتنسى لها أن تستقر في عجل
مريح في بلادها. ترى أين سوف يكون بول؟ هل سيمكث في
انكلترا أو يمود الى قبرص؟ من المحتمل أن يكون قد طلقها،
فلاذيه كل ما يبهر هذا؟ كانت تشعر بأنه سيبتغي الخلاص
منها بأسرع ما يستطيع؟

لهذا دبرت لنفسها أن تسافر في مساء اليوم بالذات، قالت
الأم:

بماذا تستطيع أن أساعدك يا عزيزتي؟

كانت محزونة، ولكنها رصينة. لقد أصبحت على علم بكل
شيء وقد بذلت وزوجها كل جهد ليثنيا ابنتهما عن

هربها المتعجل، ليقنعها بالبقاء بعد ازالة الضمادات عن عيني زوجها، لتتبين كيف يكون تصرفه ازاء خديعتها، ولكن تيسا كانت صلبة العناد، وما استطاعت الام أن تلين هذا العناد بدموعها، فتقبلت قرار تيسا، تاركة اياها تشكل مصيرها على هواها، أما الأب فلم يتراجع بسهولة، وقالت تيسا له ضارعة:

"لن ارتضي أن أواجهه يا ابي، هذا كل ما في الأمر، لقد كان ينفر مني، حتى قبل أن أوذيه".

"ما كان في ما فعلته ايذاء؟"

"أليس في أستغلال عماء لأظفر بما أردت ايذاء؟"

"ما ادراك بما سيكون عليه شعوره؟"

"أنني أعرف ما سيشعر به حين يعلم بأنه تزوجني أنا!"

ولاذ الأب بالصمت، فساور تيسا الارتياح، بيد أن امارات غامضة تبدت عليه، ولم تكن قد سنحت لتيسا فرصة - في اليومين السابقين - لأكثر من مناسبة واحدة، فاجأته فيها بتأملها خلسة ثم يهز رأسه، وكأنه شارد الذهن في مشكلة مزعجة تبعت فيه شيئاً من الخوف.

وقالت أمها، وهي بعد واقفة بالباب:

"ألا بد من هذه العجلة؟"

"سيأتون لنقل الأشياء في الصباح، لهذا سأستقل طائرة الليلة!"

كان لابد أن تذهب الى المطار في الساعة الخامسة. وكان بول يرتقبها في المستشفى وقد أوصاها الطبيب بالحضور في الساعة الرابعة لتكون الى جوار بول حين ينزع الضمادات عن عينيها، وقال الطبيب وفي عينيها وميض انتصار:

"طلب زوجك هذا بوجه خاص، فوجهك هو أول ما يريد أن يبصره".

وجه لوسيندا... الوجه الجميل... وجه المرأة التي أحبها!

ألقت تيسا نظرة على الساعة، فاذا بها الواحدة تقريبا،

ما هي الا ثلاث ساعات حتى يبصر بول، لقد ودعته بالامس، وان لم يدر انها كانت تودعه، وقال لها مرات:

"انك هادئة صامته يا عزيزتي".

وكان يلوح لتيسا ان في صوته لهجة السؤال، وان في تصرفه ترقبا عجيبا، فكانت تجيب في كل مرة:

"انه الانفعال... تصور أنك في هذا الوقت من الغد، ستكون قادراً على النظر!"

كان لزاماً أن يبقى في المستشفى - بعد نزع الضمادات - أياماً فلائلاً، وأن يرتدي نظارة سوداء لفترة من الزمن، حماية لعينيها من الوهج.

"نعم سأكون قادراً على أن أرى... أراك يا زوجتي الحلوة الجميلة!"

وجثم على قلبها شعور من المرارة. وسرح ذهنها الى لوسيندا التي سعدت بالزواج من شخص آخر، والى بول وما سيصيبه من صدمة، والى نفسها... وهي العاشقة في استماتة، ولكنها لاتحظى بحب محبوبها. واستطاعت تمالك نفسها ولكنها أحست بقلبها يموت أنها النظرة الأخيرة وهي تلقت اليد قبل أن تخرج وتغلق الباب. وملاأت الدموع عينيها، وتعثرت وهي تجتاز الردهة، لقد ذهبت وغاب بول عن حياتها الى الابد!

★ ★ ★

وردها الى الواقع صوت أمها تهتف برقة:

"تيسا، ايتها العزيزة!"

وانبعث في تلك اللحظة رنين جرس الباب، فاطلت من
النافذة كانت هناك سيارة أجرة في الخارج، ولكنها لم تلمح
الشخص الذي نزل منها. كان الأب قد فاجأهما بالعودة الى
البيت في موعد الغداء - على غير عادته - زاعما أنه شعر
بوعكة. . . غير أنهما حارتا إذ رأته في روح معنوية طيبة،
حتى أنه راح يغني بصوت خفيض وهو في الحمام.

لاحت من تيسا نظرة الى المرأة، فاذا شعرها مشعث وأنفها
لامع، وثوبها، كان صدره متسقا بشكل واضح، ووجهت
مكتئبة لمظهرها. وأحست بأنها تود أن تهرب بعيدا، اميالا
بعيدا عن الغرفة والفوضى المحيطة بها، وكل شيء حتى عن
حياتها!

وقطبت أمها جبينها في حيرة، إذ سمعت صوت زوجها
يسأل:

أذن، فقد جئت؟

وتساءلت أمها:

تري من يكون هذا؟

فهزت تيسا رأسها في صمت، وهي تجمع بعض أشياءها،
وسمعت صوت أبيها يقول:

انها هنا. . . كنت قلقا خشية الا يسمحوا لك بالمجيء!

وتبعث ذلك غممة غير واضحة بين الرجلين، فدبت الحياة
في تيسا، وأسرعَت تجر اليها الصناديق والحقائب في نصف
دائرة، كان تصرفا غير ارادي، وكأنها شاعت أن تقيم حاجزا
دفاعيا، وقطنت الى أن شكلها ولا بد يثير الضحك، وسط هذه
الفوضى.

ورفعت رأسها - وهي متقطعة الانفاس - فاذا ببول في فراغ
الباب، والنظارة السوداء تحجب عينيه! ومع ذلك أحست بأنه
يجيلهما في الغرفة غير مصدق، قبل أن تستقرا على وجه
زوجته المحتقن بالدم. وكانت السباقة الى الكلام، إذ

هتفت بصوت مشروخ ومرتجف:

بول!

ومع أنها نطقت باسمه، فإن ذهنها لم يكد يستوعب واقع
وجوده وأردفت:

هل جئت تنشد، لوسيندا؟ ولكنها أنا. . .

وتقطع صوتها مخلدا الى الصمت. . . كيف جاء؟ وسماعته
يقول:

بل جئت أنشد زوجتي!

وارتجفت وهي تقول:

*نعم، اعرف هذا. . . ولكن يا. . . بول، انك. . . أنا. . . انك
متزوج من. . .*

وأمسكت تبحث عن كلماتها، ثم قالت:

أوه يا بول. . . أنا لست لوسيندا!

وحجبت وجهها براحتيها، فأزال النظارة عن عينيه لحظة،
ثم تقدم منها، وتوقف عند الحاجز الذي أقامته، وقال في
هدوء:

أنني أرى انك لست لوسيندا!

ازاحت يديها عن وجهها، ونسيت - للحظة خاطفة - كل
شيء الا أن زوجها استرد بصره. . . وامتزج صوتها العذب
بعجب وحنان طاغيين، وهي تهتف:

انك تبصرا!

أنهما العينان الداكنتان اللتان أسرتا قلبها يوما. العينان
اللتان أوسعتها يوما ازدياء وعدم اكتراث. . . العينان اللتان
كانتا تفيضان بالحب والحنان للوسيندا. . . واعادت تقول:

انك تبصرا!

انطلقت الكنتان مع زفرة عميقة. . . لقد ضاع زوجها منها
الى الابد، ومع ذلك فما كانت تملك سوى أن تفعل ما فعلت،
لو دعيت لذلك مرة أخرى. وقالت:

لماذا تزعوا الضمادات قبل الموعد؟ كيف؟ ما الذي دفعك للمجيء؟

وقبض الخوف على فؤادهما، إذ بدا لها أن عينيه كانتا ترمقانهما بقسوة وحدة.. ولم يجيبها على الفور. وتبينت لدهشتها أن الكلمات استعصت عليه.. وتحركت شفاته، ولاحظت أن جانب صدغه ينبض بشكل غريب.. أكان من الغضب بحيث امتنع عليه الكلام؟ وانحرفت نظراتها الخائفة الى والديها، فاذا بهما بعد واقفان. وتساءل أخيرا في صوت خافت:

ما كل هذا؟ أتعزمين السفر؟

وندت عنها شهقة خافتة، أحست بأنه غير واثق من نفسه وقالت:

انني راحلة الو هونغ كونغ.

أصحيح هذا؟

واعاد النظارة الى مكانها أمام عينيه، وهو يجيل بصره فيما حوله، أين فورة غضبه؟ على العكس، سمعته يقول:

ولماذا هونغ كونغ؟

انهم بحاجة الى مدرسين.

وسكتت، فقد أصبح الموقف بأكمله غير معقول، وأحس أبوها بذلك، فقرر أن يخف لنجدتها، وقال وزوجته تنقل بصرها بينهما تكاد لا تفقه ما يجري:

تيسا يا أبنتي.. أنا ذهبت لأرى بول في المستشفى هذا الصباح. وأخبرته بكل شيء، فاقنع الطبيب بأن يرفع الضمادات. ليس هذا فحسب، بل بأن يسمح له بالخروج ساعة، ليأتي قبل أن ترحلي!*

وصاحت السيدة بلين في عجب:

هل ذهبت الى المستشفى!

وتجاهل السيد بلين دهشتها، وقال لبول:

أظنك الآن قادرا على أن تتولى الموقف!

وشاعت في وجه بول ابتسامة، وقال:

شكرا.. نعم، بوسعي أن أتولاه!

وازاح السيد بلين الحقائق والصاديق جاتبا، ثم انسحب مع زوجته، وما هي الا لحظات، حتى كانت تيسا بين ذراعي زوجها، ولكنها حائرة وقد تسارعت دقات قلبها بشدة. وغمغمت، وهي لا تكاد تصدق:

أنا؟ أنا حقا؟

ورفعت عينيهما وهما تشرقان بالفرح، واستأنفت:

منذ متى كنت تعرف؟

ساورني أول شك، عندما قرأت لي أحد خطابات والدك!

أجل التذكر هذا لقد ظلت يوما أو يومين خائفة!

خائفة، اذا فلا بد أن أرتياحي سرى اليك بطريقة ما.. فما أظنني كشفت عنه.

وتحسست يده جبينها بحنان، وتابع حديثه:

وعرفت عن يقين، عندما هاجمت ذلك الثعبان!

وتراجع قليلا ليتأمل عينيهما، وقال:

لعلك لم تكوني تعرفين أن لوسيندا ترتعب من الثعابين. إذ اصطحبتها مرة الى حديقة الحيوانات، واضطررنا الا نبقى في بيت الافاعي لحظة، لأنها تجهدت من الرعب. وفي مرة أخرى كنا في الريف، فرأينا ثعبانا صغيرا، رقيقا، من النوع الذي لا يؤذي.. واذا بولسيندا تصرخ، وتجري الى السيارة فلم أفلح بعد ذلك في اقناعها بمفادرتها. وهكذا تربن يا حبيبتني، انني أدركت أن التي انقذتني من الثعبان لم تكن لوسيندا!

قالت بدون تفكير:

ولكن.. اذا كانت تحبك، فهي خليقة بأن تنسى خوفها.

اعني، يكون خوفها من أجلك أنت وحدك!*

وارتسمت على شفثيه ابتسامة ساخرة، وقال في أزدراء:

"أرى ألا نتكلم بعد الآن أبدا عما تسمينه حب اختك!"
فانكملت في احضانه، وارسلت زفرة طويلة، راحت تردد
خلالها:

"كلا... أهي أنا... أنا حقا؟"

فرفع وجهها باصبع حانية، وقال:

"أهذا يدهشك؟ ما أقل ما تعرفين نفسك... انك أحلى وأروع
زوجة يستطيع أن يحظى بها رجل، ولست أدري لماذا اخترتني
من دون الآخرين لتجعليني أسعد رجال العالم حقا؟"
وكان يتحدث بتواضع غير معهود فحاولت أن تمنعه ولكنه
تجاهل محاولتها، وقال:

"كيف كنت بهذه الحماسة في البداية؟ كنت إذ ذاك أكثر عمى
مما أصبحت بعد ذلك، إذ لم أميز بين الذهب والنفاية، وكنت
مفعما بالكرامية والاشمئزاز عندما جئتني، معتقداً انك
لوسيندا، ومع ذلك شعرت كذلك بالانتصار، لأنني كرهتها منذ
اللحظة التي نبذتني فيها، وعندما عرضت أن أتقبلها - إذا
عادت - وانفر لها، كان ذلك أملاً في أن تتاح لي فرصة
الانتقام -... كان أملاً واهياً، إذ كنت قد عرفت لوسيندا على
حقيقتها، لذلك فلنك أن تتصورى كم كانت دهشتي عندما
جئت تسأليني الصفح!"

وأمسك قليلاً، وقطب ثم أردف:

"لكم ألوم نفسي! كان ينبغي أن أعرف على الفور أن التي
جاءت لم تكن لوسيندا... ولكني كنت مفعما بكرامية سوداء
نحوها، فلم أستطع أن أفكر إلا في الانتقام، اعني أن
أجازيها بأضعاف ما فعلته بي!"

وكف عن الكلام إذ أحس بها ترتجف بين يديه، وقال:

"لا ترتجفي يا غرامي... سأعوضك عما فات، فلا تخشي
شيئاً!"

ابتسمت وامست وجهه، وهي تقول:

"ما من داع لتعويض ما، لا تلم نفسك يا بول فالواضح انك كنت
راغباً في الثأر..."

وتذكرت تعليق لوسيندا وهي تصف ما عرضه بول من صفح،
بالفرور والقطرسة... ما أقل ما كانت لوسيندا تعرف عن أنه ما
عرض الصفح إلا أملاً في يوم يتمكن فيه من أن يسكب نغمته
السوداء عليها!

★ ★ ★

وبعد برهة، خطرت لها فكرة أخرى فهتفت:

"بول بعد حادث النعبان، عاملتني بخشونة، لفترة قصيرة
أكان هذا غضبا من انك خدعت؟"
قأوماً برأسه، وقال:

"لقد كرهتك في البداية، أكثر مما بغضت لوسيندا، كما
اعتقد... لانك بتصرفك جسدت عجزى وقلّة حيلتي، وما أقسى
ما يحدثه هذا من ألم، أتممادي هذه الفتاة الى درجة الزواج
مني، والعيش معي، بدون أن أعرف أنني مخدوع؟ هذا ما
يجرح الشعور جرحاً قاسياً، حتى اصطبغ كل شيء بلون الدم،
ولذلك لذت بحجرتي الخاصة، أملاً في أن أجعلك تتعذبين، لأن
حبك لي كان واضحاً، ولكنني حين أطلقت التفكير في مجيئك
للتزويج وتعني برجل أعمى، عندما فكرت في حبك وهنائك
وكيف حاولت أن تتقاسمي عينيك معي، وان تري لي... إذ
ذاك تبينت مدى ما انحرف اليه عقلي... وما استطعت أن
أعاقبك عن جرم لوسيندا، وعن ذنبك كذلك!"
وتوقف عن الكلام، ثم أردف:

* أنك بحبك ولطفك قدتني لأعود الى العقل يا لصبرك، وأملك
في أن تسعد معاً يوماً ما!

وسكت، وهز رأسه، وعاد يقول:

* كنت استحقى الدرس يا أعز الناس، لو أنك تركتني فبادرتي
قائلة:

* ما كنت لأفعل هذا أبدا ولن أفعله، لقد أدرك جو فتورك،
ولكن أياً منا لم يستطع الاهتداء الى سبب، الآن أفهم السبب
طبعاً.

وسكتت لحظة مترددة، ثم قالت:

* إذا كنت عرفت أنني لست لوسيندا يا بول، فلماذا لم تقل
شيئاً؟

* كرهتك في بادئ الامر لقاء خدعتك، كما قلت، فلم أكن
ابتغي في عقلي المتلوي سوى أن أزيدك ايلاًما وايداء، كنت
أقول لنفسي صب ايذاءك هذه المرة على تيسا عقاباً لها على
الزواج منك، ثم عندما قطنت في وقت لاحق، الى مدى ميلي
اليك - واني لأدري الآن انني ظلت فترة أقاوم هذا الميل
وأناضله! ملأني الخوف من أنك قد تشعرين بالذنب وبالخرج،
إذا ما كشفت عن معرفتي بأنك لست لوسيندا، فتتركينني.
وإذا اكتشفت - في تلك الاثناء - انني لا أستطيع أن أعيش
بدونك، لذت بالصمت!

وأطل عليها - من علياء قامته - مبتسماً في حب، وأردف:

* بل داخلني الأمل - يا أعز الناس - في أنك ستخبريني
بنفسك!

قالت تيسا بصوت خافت:

* الان أرى أنك كنت تريد ذلك.

فقد تذكرت الترقب العجيب الذي لاحظته على سلوكه، في
زيارتها الأخيرة للمستشفى!

* كنت أريده... وبقينا انني كنت سأكشف لك عن معرفتي،

لو خطرت لي اتفه فكرة عما كنت تتأهين لفعله... هونغ
كونغ؟ لقد فعل أبوك خيراً إذ زارني فلو أنك جشمتني عناء

تعقبك الى هونغ كونغ لعاقبتك عقاباً لا ينسى؟

وانكملت تيسا ملتصقة به، وغمغمت في حبور:

* هل كنت ستتبعني الى هونغ كونغ؟

قال وصوته ينضح بالانفعال العاطفي:

* كنت اتبعك الى أقصى اطراف الأرض!

وللمرة الثالثة رآته تيسا، يونانيا قحاً، قويا، مشبوب

العواطف، مسيطراً الى أقصى أطراف الارض... وما وراها!